

الأقليات المسلمة في مواجهة

"فوبيا" الإسلام

ح المكتب التعاوني للدعوة والإرشاد وتوعية الجاليات

بالمدينة المنورة، ١٤٣٥هـ.

فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر

الحصين، صالح بن عبدالرحمن

الأقليات المسلمة في مواجهة فوبيا الإسلام / صالح بن عبدالرحمن الحصين.

المدينة المنورة، ١٤٣٥هـ

ص ٧٦، ١٧× ٢٤ سم

ردمك: ٠-٣-٩٤١٥-٩٩٦٠-٩٧٨

١- الأقليات الإسلامية ٢- الإسلام - دفع مطاعن ٣- الإسلام والغرب أ.العنوان

ديوي ٢٥٧،١ ١٤٣٥/٥٠٣

رقم الإيداع: ١٤٣٥/٥٠٣

ردمك: ٠-٣-٩٤١٥-٩٩٦٠-٩٧٨

الطبعة الأولى

١٤٣٥هـ - ٢٠١٣م

الناشر





الأقليات المسلمة في مواجهة



"فوبيا" الإسلام

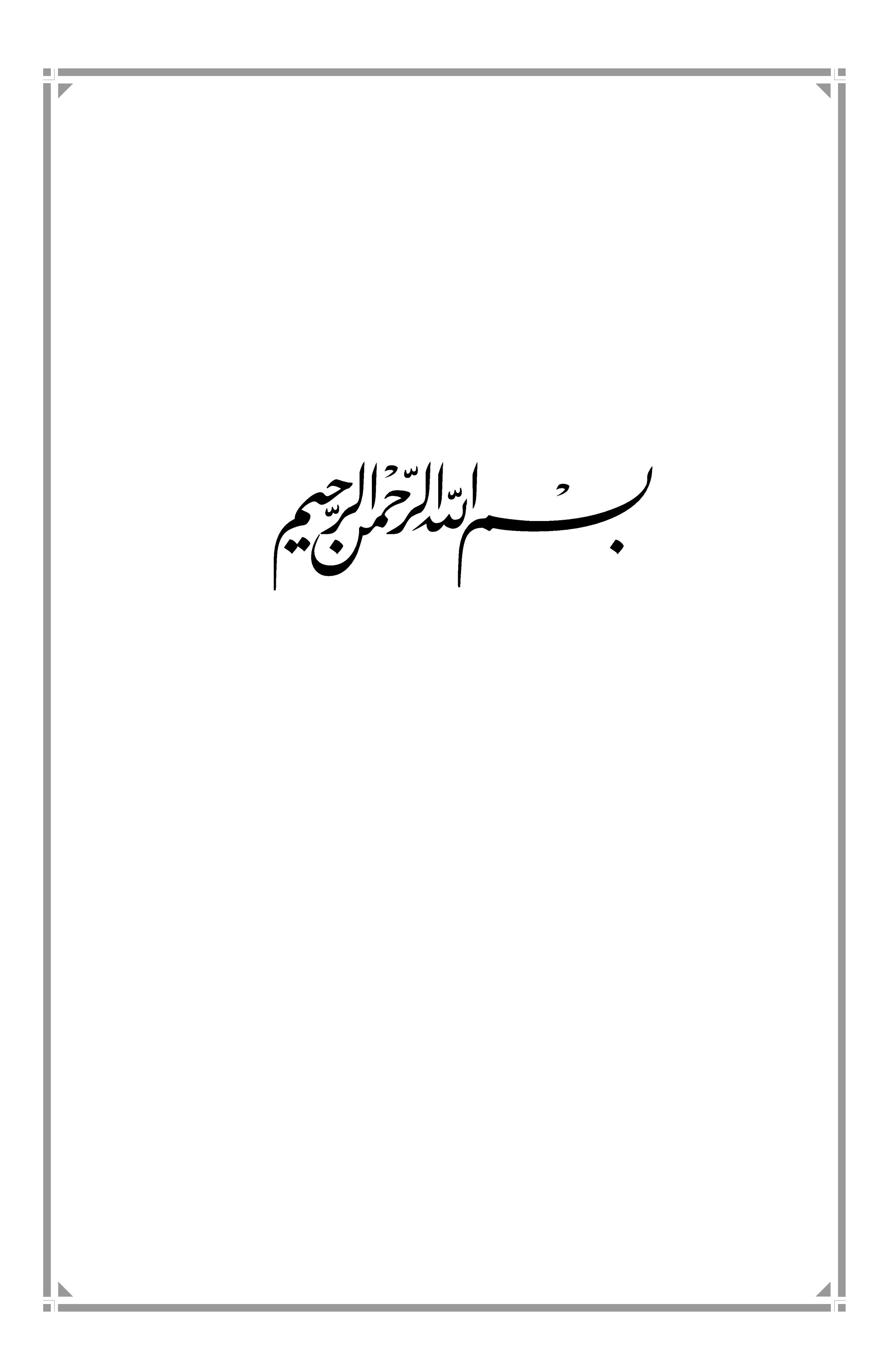
تأليف

صالح بن عبد الرحمن الحصين



إصدار

المكتب التعاوني للدعوة والإرشاد وتوعية الجاليات بالمدينة المنورة


بسم الله الرحمن الرحيم

المحتويات

الموضوع | الصفحة

تقديم

الحمد للّه رب العالمين وولي الصالحين ورافع المتقين والصلاة والسلام على نبي الأولين والآخرين وقائد الغر المحجلين محمد بن عبداللّه عليه أفضل الصلاة وأتم التسليم.

أما بعد ، ، ،

فلا يزال رحم الأمة معطاءً برجالٍ أفذاذ وعلماء كبار يقدمون الخير للناس ويرشدون الأمة إلى الهداية ويحذرونهم من الغواية. ومن أولئك الأعلام الشيخ صالح بن عبدالرحمن الحصين _ عالم الوزراء وزاهد العلماء _ الذي اجتمعت فيه صفات تفرقت في غيره، وبرزت فيه خصال قلّ أن توجد في غيره.

ولم يبالغ قائل لو قال: (إن الشيخ صالح كان أمة قانتاً للّه حنيفاً)، كما قال ابن مسعود رضي الله عنه في أعلم هذه الأمة بالحلال والحرام معاذ بن جبل رضي الله عنه، إذ كان في مجلس عُطر بذكر معاذ فقال ابن مسعود رضي الله عنه: (إن معاذاً كان أمة قانتاً للّه حنيفاً) فقال بعضهم الأية هي: (إن إبراهيم) فقال: (الأمة : معلم الخير، والقانت : المطيع). والشيخ صالح رحمه الله تعالى كان كذلك نحسبه واللّه حسيبه.

قد كان سراجاً أطفأ بعلمه وعمله شهرة أرباب المظاهر وكان الصدر المقدم في المشورة عند نزول النوازل دينيةً كانت أو دنيوية، سياسية أو اجتماعية.

فله المقامات الشهيرة في الورى ... قد قامها للّه غير جبان

نصر الإله ودينه وكتابه ... ورسوله بالفعل والبرهان

وفي خضم الصراعات الفكرية المعاصرة، والإنبهار بالثقافات الغربية بسبب بعض الشبه التي تُلقى على الإسلام. كان نصل الشيخ صالح رحمه الله تعالى هو الأقوى في رد تلك الشبهات وذلك لإطلاعه على ثقافات الشعوب والأمم وخاصة الغربية منها، فرمى القوم بسهمٍ من كنانتهم بتأليفه لكتابه القيم (**فوبيا الإسلام**) والذي كان جواباً لبعض التساؤلات التي وجهتها وزارة العدل في إحدى دول أوروبا الشرقية إلى إحدى المؤسسات الخيرية (مؤسسة الوقف) والتي بدورها أحالت تلك الأسئلة إلى معالي الشيخ فكان هذا الكتاب جزءً من جوابه رحمه الله.

لقد عاش الشيخ جل حياته مساهما في دعم العمل الخيري في العالم الإسلامي ولذا فقد زار وطاف بكثير من دول العالم في آسيا وأفريقيا وأمريكا وأوروبا، فكان من خصال الخير التي تميز بها فضيلته رحمه الله جهاده الدؤوب وعنايته المستمرة بالعمل الخيري والتطوعي بدعمها ورعايتها وتوجيهها والتأليف عنها.

ومن تلك المشاريع التي حظيت بعناية الشيخ ورعايته ومتابعته المستمرة لأعمالها مشروع توعية الزوار في المدينة النبوية التابع للمكتب التعاوني للدعوة والإرشاد وتوعية الجاليات. فقد كان رحمه الله تعالى خير داعم ومساند له ونعم المدافع عنه طيب الله ثراه وجعل الجنة مثواه.

ومن الوفاء للشيخ رحمه الله أن يخرج علمه للأمة الإسلامية حتى تستفيد منه وهو ما يحاوله مشروع توعية الزوار من خلال إعادة طباعة كتب الشيخ ونشرها في العالم الإسلامي وتقديمها للدعاة إلى الله والعلماء.

فالله نسأل أن يبصر شباب الأمة بدينهم لفهمه على حقيقته والاعتزاز به، كما أسأله أن يغفر لفقيد الأمة الإسلامية الشيخ صالح

الحصيّن وأن يُسعده بإجتماعه مع النبين والصدقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقا وصلى الله وسلم على نبينا محمد ماتعاقب الليل والنهار وعلى آله وصحبه أجمعين.

مشروع توعية الزوار

المكتب التعاوني للدعوة والإرشاد وتوعية الجاليات

المدينة المنورة

١٤٣٤هـ

نبذة موجزة عن الشيخ صالح بن عبدالرحمن الحصين[١]

- نشأته:

هو صالح بن عبد الرحمن بن عبد العزيز بن عبد الرحمن بن عبد الرحمن بن محمد بن عبد الله بن محمد بن أحمد بن محمد - الملقب بالحصين – بن ماجد الناصري من بني الحارث – الحبط – بن عمرو بن تميم، يصل نسبه بنسب الرسول ﷺ في إلياس بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان.

وآل الحصين أسرة يقال لهم (آل ماجد)، لقب جدهم (محمد) (الحصين) فسرى على ذريته حتى اليوم، وكانوا يقيمون في بلدة القرائن بالقرب من شقراء عاصمة بلدان الوشم، حيث عين عمهم الشيخ العلامة عبد العزيز بن عبد الله الحصين قاضياً في شقراء من قبل شيخه المصلح وإمام الدعوة في زمانه الشيخ محمد بن عبد الوهاب، ومن قبل الإمام عبد العزيز ابن محمد آل سعود ، فانتقلت الأسرة بانتقاله من القرائن إلى شقراء، واتخذوها مقراً وموطناً لهم[٢].

ولد الشيخ صالح الحصين في مدينة شقراء بالمملكة العربية السعودية عام ١٣٥١هـ/١٩٣٢م[٣]. ونشأ نشأة صلاح وديانة فوالده هو الشيخ عبد الرحمن بن عبد العزيز الحصين من أعيان مدينة شقراء ومن القائمين بأمور الدعوة إلى الله فيها، حيث كان رئيساً لهيئة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر في منطقة الوشم وكان مهتماً بعمل الخير

---

(١) ينظر جهود الشيخ صالح بن عبدالرحمن الحصين في الدعوة إلى الله، د.سلطان بن عمر الحصين – بحث محكم - المجلة العلمية لكلية أصول الدين والدعوة – جامعة الأزهر – العدد ٢١ سنة ٢٠٠٨/ ٢٠٠٩ (ص ٢٢٩٣ – ٢٢٩٨).

(٢) البواصر في التعريف بأسر النواصر، عبد الله بن مساعد الفايز، ص (٢٣٧)، وانظر كذلك علماء نجد خلال ثمانية قرون، عبد الله البسام ٤٥٤/٣ -٤٦٤.

(٣) مجلة الفيصل – عدد (٢٤٣) رمضان ١٤١٧ هـ، يناير / فبراير ١٩٩٧ م (ص ١٢١).

والإحسان إلى الناس حتى سمي بأبي الفقراء يقول عنه الشيخ البسام: "كان يبحث عن المحتاجين والأرامل والأيتام ويمدهم بما يعينهم ويساعدهم على معيشتهم، وكان يتولى تجهيز الأموات الذين لم يخلفوا ما يجهزون به، وكان يسمى أبو الفقراء، فلا ينقطع عن مواساتهم، وكان صاحب طاعة وعبادة، وبعدٍ عما لا يعنيه من الأمور، وكان لطيفاً بشوشاً، كريماً النفس، سمحاً سهلاً "(١).

وقد تأثر الابن بأبيه في كثيرٍ من تلك الصفات فكان الشيخ صالح في تعامله رفيقاً ليناً بشوشاً، وكان في عبادته صاحب عبادة وديانة وأما العمل الخيري فهو مجال تخصصه حاز الريادة وقصب السبق فيه.

- **طلبه للعلم:**

في طلبه للعلم مر الشيخ بثلاث مراحل كونت شخصيته العلمية:

المرحلة الأولى:

هي مرحلة طلبه للعلم في موطنه المملكة العربية السعودية عبر المراحل الدراسية المختلفة والتي انتهت في أم القرى ومهبط الوحي، حيث تخرج في كلية الشريعة بمكة المكرمة عام ١٣٧٤هـ/١٩٥٤م.

المرحلة الثانية:

هي رحلته في طلب العلم خارج نطاق الجزيرة العربية حيث قصد مصر وكانت قبلة العلم في تلك الفترة، وتوجهت رغبة الشيخ نحو التخصص في مجال القانون، وقد حصل الشيخ على درجة الماجستير في القانون والشريعة من معهد البحوث والدراسات العربية التابع لجامعة الدول العربية في مدينة القاهرة في جمهورية مصر العربية سنة ١٣٨٠

---

(١) علماء نجد خلال ثمانية قرون، عبد الله البسام ٣/٤٥٥

هـ/١٩٦٠م وكان عنوان أطروحته: « التصرف عن الغير بدون و لاية و لا وكالة في الفقه الإسلامي »[(١)]

المرحلة الثالثة:

و في هذه المرحلة خرج الشيخ في طلب العلم والاستزادة منه خارج حدود الوطن العربي فقد قصد منارة العلم آنذاك جامعة السوربون في مدينة باريس بدولة فرنسا، ليكمل دراساته القانونية في المقارنة بين الشريعة الإسلامية والقانون الفرنسي وهو القانون الوضعي المعمول به في أغلب الدول الإسلامية، وقد درس الشيخ اللغة الفرنسية[(٢)]، إلا أنه لم يكمل مشواره الأكاديمي نظرا لاستدعاء الدولة له للإفادة من خدماته.

- **أهم آثاره العلمية:**

للشيخ صالح عدد من المؤلفات و المقالات و الأبحاث الرصينة في عدد من المجالات شملت الفقه والعقيدة ، والدعوة إلى اللّه والمعاملات المالية، وقضايا المرأة، والعلاقة بين الإسلام والغرب من أهمها [(٣)] ما يلي:

<u>أولا: المؤلفات:</u>

---

(١) مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية، الرياض، الرسائل الجامعية، وثيقة رقم (٥٥٣٩٩٦).

(٢) مجلة الفيصل – عدد (٣٥٨) ربيع الآخر ١٤٢٧ هـ، مايو ٢٠٠٦ م.

(٣) ينظر موقع الشيخ صالح الحصين الإلكتروني http://rowaq.org/ للإطلاع على جميع الإنتاج العلمي للشيخ رحمه الله.

١. مهذب العقيدة الطحاوية للقاضي علي بن محمد بن أبي العز الدمشقي[(١)].
٢. مهذب اقتضاء الصراط المستقيم مخالفة أصحاب الجحيم لشيخ الإسلام ابن تيمية[(٢)].
٣. التسامح والعدوانية بين الإسلام والغرب[(٣)].
٤. القانون الإداري[(٤)].
٥. العلاقات الدولية بين منهج الإسلام ومنهج الحضارة المعاصرة[(٥)].
٦. الحرية الدينية في المملكة العربية السعودية.
٧. فوبيا الإسلام.

ثانياً: الأبحاث:

١. تعليق حول إمكانيات القضاء الإداري في الدولة الإسلامية[(٦)].
٢. الوقف الخيري بين الأمس واليوم[(٧)].
٣. الطريق الروحي إلى مكة.
٤. تعدد الزوجات وحقوق الإنسان.

---

(١) الجامعة الإسلامية – المدينة المنورة – ١٤١٣ هـ. مراجعة: د. علي بن ناصر فقيهي و د. أحمد بن عطية الغامدي. وقد طبع الكتاب أربعة طبعات ووزع منه عشرات الألوف من النسخ كما ترجم وطبع باللغة التركية.
(٢) طبعة خاصة بجمعية تحفيظ القرآن بالوشم – مكان النشر: بدون – سنة النشر: بدون. مراجعة الشيخ: عبد الله الغنيمان.
(٣) كرسي الأمير سلطان للدراسات الإسلامية المعاصرة - جامعة الملك سعود – الرياض – ١٤٢٩ هـ.
(٤) مقرر دراسي لبرنامج الإدارة المتوسطة – معهد الإدارة العامة – الرياض.
(٥) مؤسسة الوقف الإسلامي – الرياض – ١٤٢٩هـ.
(٦) مجلة الإدارة العامة – الرياض – عدد (٢) شوال ١٣٨٣ هـ
(٧) الملتقى السنوي الأول للجمعيات الخيرية لتحفيظ القرآن الكريم – الطائف – سنة النشر: بدون.

٥. قضية أن تكون المرأة أجيرة.

٦. هل للتأليف الشرعي حق مالي؟ [١]

٧. المملكة العربية السعودية والدعوة إلى الله – رؤية مستقبلية -[٢].

٨. علاقة المسلم بغير المسلم في تصور الإسلام.

٩. مقدمة لترجمة كتاب: الطريق إلى مكة لمحمد أسد[٣].

ثالثا: في المعاملات المالية:

١٠. المصارف الإسلامية ما لها وما عليها.

١١. رد على بحث: "موقف الشريعة الإسلامية من المصارف"[٤].

١٢. الهيئات الشرعية وطريق التحول لمستقبل أفضل[٥].

١٣. مشاكل البنوك الإسلامية: عقد السلم ودوره في المصرف الإسلامي[٦].

١٤. المحاولات التوفيقية لتأنيس الفائدة[٧].

١٥. تعليق عن التفريق بين الفائدة البنكية والربا[٨].

١٦. عقد السلم و الإستصناع ودورهما في المصرف الإسلامي[١].

---

(١) الأبحاث: " الطريق الروحي إلى مكة، قضية أن تكون المرأة أجيرة، تعدد الزوجات وحقوق الإنسان، نشرت في كتاب: قضايا بلا حدود - كتاب الإسلام اليوم (٧) – مكتبة العبيكان – الرياض – ١٤٢٥هـ

(٢) بحوث مؤتمر المملكة العربية السعودية في مائة عام – الرياض ٧ – ١١ شوال ١٤١٩هـ/٢٤ – ٢٨ يناير ١٩٩٩ م المحور السابع عشر: إنجازات المملكة في خدمة الإسلام والمسلمين.

(٣) مكتبة الملك عبد العزيز العامة – الرياض – ١٤٢٥ هـ

(٤) مجلة البحوث الإسلامية – الرياض – العدد (٢٣).

(٥) قضايا بلا حدود -كتاب الإسلام اليوم (٧) – مكتبة العبيكان – الرياض – ١٤٢٥هـ.

(٦) مجلة مجمع الفقه الإسلامي – جدة – العدد (٨) الجزء (٣) ١٤١٥ هـ - ١٩٩٤ م.

(٧) مجلة البحوث الإسلامية – الرياض – العدد (٣٥).

(٨) مجلة البحوث الإسلامية – الرياض – العدد (٣١).

١٧.مقدمة لكتاب الورق النقد للدكتور عبدالله المنيع[٢].

١٨.نجاح البنوك الإسلامية أن تتعامل بالنقود لا أن تتعامل في النقود[٣].

- **حياته العلمية**

يمكن تقسيم حياة الشيخ العملية إلى ثلاث مراحل:

المرحلة الأولى:

بدأ حياته العملية في التدريس، ثم أصبح مستشاراً قانونياً في وزارة المالية السعودية وفي عام ١٣٩٠هـ/١٩٧٠م أصبح رئيساً لهيئة التأديب[٤].

ثم عين عام ١٣٩١هـ/١٩٧١م وزيراً للدولة عضوا في مجلس الوزراء زمن الملك فيصل رحمه الله[٥]، ثم أسندت إليه رئاسة شعبة الخبراء بمجلس الوزراء إضافة إلى عمله السابق وذلك عام ١٣٩٤هـ/١٩٧٤م[٦].

كان عضوا في مجلس الخدمة المدنية وعضوا في عدد من مجالس الجامعات السعودية منها الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، وعضوا في المجلس الأعلى للدعوة و الإرشاد وكذلك مجلس الأوقاف الأعلى وعضو في الهيئة الاستشارية العليا لمجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف بالمدينة المنورة.

المرحلة الثانية:

---

(١) ندوة المعهد الإسلامي للبحوث والتدريب، البنك الإسلامي للتنمية – جدة – ١٤١٣هـ .

(٢) مطابع الفرزدق – الرياض – ١٤٠٤ هـ / ١٩٨٤ م.

(٣) مجلة الفيصل ، عدد (٢٤٦) ذو الحجة ١٤١٧ هـ .

(٤) صحيفة أم القرى -عدد (٢٣٦٥) ٦ صفر ١٣٩١ هـ .

(٥) صحيفة أم القرى -عدد (٢٣٨٠) الجمعة ٢٣ جمادى الأولى ١٣٩١ هـ، ١٦ يوليو ١٩٧١م.

(٦) مكتبة معهد الإدارة العامة بالرياض – قسم الوثائق – وثيقة رقم (٨١٨٤).

وهي مرحلة ما بعد العمل الحكومي، ففي عهد الملك خالد رَحِمَهُ ٱللَّهُ طلب الشيخ الإعفاء من الوزارة، وعضويته في مجلس الوزراء، وتفرغ بعد ذلك للجوار في الحرمين الشريفين وممارسة هوايته المفضلة و عمله المحبب ألا وهو العمل الخيري والدعوة إلى الإسلام.

وهذه المرحلة الهامة من حياة الشيخ كانت مرحلة مثمرة وحافلة بالعمل للإسلام في شتى الميادين، وفي أماكن كثيرة في الأرض، فقد بدأ الشيخ يجوب العالم يتفقد الدعوة الإسلامية ويزور المراكز الإسلامية ويقدم المشورة والنصح والدعم.

المرحلة الثالثة:

وبعد عقدين من الزمان تقريباً وفي آخر عهد الملك فهد رَحِمَهُ ٱللَّهُ تم تعيينه رئيسا عاماً لشؤون المسجد الحرام والمسجد النبوي وذلك عام ١٤٢٢هـ/٢٠٠٢م[١].

وعندما بدأت مسيرة الحوار الفكري في المملكة تم اختياره رئيساً للجنة العليا لمركز الملك عبد العزيز للحوار الوطني وذلك عام ١٤٢٤هـ/٢٠٠٤م[٢].

وفي مطلع عام ١٤٣٠هـ عين في هيئة كبار العلماء في المملكة العربية السعودية[٣].

وقد استمر الشيخ رئيسا عاماً لشؤون المسجد الحرام والمسجد النبوي إلى أن تمكن من المرض منه وطلب الإعفاء من منصبه وذلك في ١٧ / ٦ / ١٤٣٣ هـ .

---

(١) الشيخ الحصيّن: نسيج وحده ،عبد الرحمن الشبيلي، صحيفة الشرق الأوسط، العدد (٩٩٨٨) الاثنين ٤ ربيع الأول ١٤٢٧ هـ الموافق ٣ أبريل ٢٠٠٦ م.

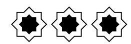
(٢) مجلة الفيصل – عدد (٣٥٨) ربيع الآخر ١٤٢٧ هـ، مايو ٢٠٠٦ م.

(٣) صحيفة أم القرى، عدد (٤٢٤١) في ٢٥ / ٢ / ١٤٣٠ هـ ، جريدة عكاظ، العدد (٢٨٠٠) الأحد ٢٠ صفر ١٤٣٠هـ الموافق ٢٠٠٩/٢/١٥م .

- **وفاته:**

وقد توفي رَحِمَهُ ٱللَّهُ في يوم السبت الموافق ٢٤/ ٦/ ١٤٣٤هـ وصلي عليه بعد صلاة عصر اليوم الأحد الموافق ١٤٣٤/٦/٢٥هـ في مسجد الراجحي بمدينة الرياض بالمملكة العربية السعودية، وقد صلى عليه صلاة الميت فضيلة الشيخ صالح اللحيدان عضو هيئة كبار العلماء ورئيس مجلس القضاء الأعلى سابقا.

كما أدى الصلاة عليه جمع غفير من الناس إمتلأ بهم مسجد الراجحي وأروقته في مقدمتهم الأمير مقرن بن عبدالعزيز آل سعود النائب الثاني لرئيس مجلس الوزراء المستشار والمبعوث الخاص لخادم الحرمين الشريفين وعدد من العلماء والدعاة وطلبة العلم والأمراء والوزراء والأعيان وقد كانت جنازة الشيخ مهيبة .



مُقَدِّمَة

تقتضي طبيعة الأسئلة الموجهة التكرار في الإجابة كما أن إجابات الأسئلة لها خلفية عريضة من الرؤى، ولا يمكن أن يكون التعبير في الإجابات واضحاً للقارئ إلا إذا كان على علم بهذه الخلفية.

من أجل تفادي التكرار ما أمكن ومن أجل أن تكون الإجابات أكثر وضوحاً للقارئ كتبت هذه المقدمة الطويلة متضمنة خمس فقرات وخلاصة، وهذه الفقرات الخمس والخلاصة تمثل رؤية للإسلام وعلاقته بغيره من الثقافات منسجمة مع الرؤية التي تسفر عنها إجابات الأسئلة المطروحة .

١ / أتيح لمحمد أسد (ليو بولد فايس) المفكر النمساوي ما لم يتح إلا لقليل من الأوروبيين وربما من المسلمين من الاطلاع على تراث المسلمين وعلومهم والاتصال المباشر بحياتهم والعيش بينهم من مختلف الطبقات ومختلف الأقطار والثقافات لمدة طويلة، وكان نتيجة ذلك تأليفه لكتابيه: الإسلام على مفترق الطرق (Islam at the Crossroads) والطريق إلى مكة (The Road to Mecca) اللذين راجعهما في آخر حياته .

في كتابه الأول سجل الملاحظة الآتية : « لقد بدا لي الإسلام مثل تكوين هندسي محكم البناء، كل أجزائه قد صيغت ليكمل

بعضها البعض وليدعم بعضها بعضاً، ليس فيها شيء زائد عن الحاجة وليس فيها ما ينقص عنها، ونتيجة ذلك كله توازن مطلق وبناء محكم، ربما كان شعوري بأن كل ما في الإسلام من تعاليم وضع موضعه الصحيح، هو ما كان له أعظم الأثر عليَّ، لقد سعيت بجد إلى أن أتعلم عن الإسلام كل ما أستطيع أن أتعلمه، درست القرآن وأحاديث النبي، درست لغة الإسلام وتاريخه وقدراً كبيراً مما كتب عن الإسلام وما كتب ضده، أقمت ست سنوات تقريباً في نجد والحجاز معظمها في مكة والمدينة، بغرض أن أتصل مباشرة ببيئة الإسلام الأصلية، وبما أن المدينتين كانتا مكان اجتماع المسلمين من مختلف الأقطار، فقد تمكنت من الإطلاع على مختلف الآراء الدينية والاجتماعية السائدة حالياً في العالم الإسلامي، وكل هذه الدراسات والمقارنات خلقت لديَّ اعتقاداً راسخاً أنَّ الإسلام كظاهرة روحية واجتماعية لا يزال أقوى قوة دافعة عرفها البشر، رغم كل مظاهر التخلف التي خلفها ابتعاد المسلمين عن الإسلام »[١].

في الكتاب الثاني سجل الملاحظات الآتية :

« أحسست بضرورة فهم روح تلك الشعوب المسلمة لأني وجدت لديهم تلاحماً عضوياً بين الفكر والحواس، واعتقدت أنه من خلال فهم أقرب وأفضل لحياتهم يمكن أن أكتشف الحلقة المفقودة التي تسبب تآكل التكامل الداخلي للشخصية الأوروبية، لقد اكتشفت كنه ذلك الشيء الذي جعلنا ننأى عن الحرية الحقة بشروطها

---

(١) الإسلام على مفترق طرق ص (١١ - ١٢) .

الموضوعية التي يتمتع بها المسلمون حتى في عصور انهيارهم الاجتماعي والسياسي، ما كنت أشعر به في البداية أنه لا يعدو أكثر من تعاطف مع شكل الحياة العربية والأمان المعنوي الذي أحسه فيما بينهم تحول بطريقة لا أدركها إلى ما يشبه المسألة الذاتية، زاد وعيي برغبة طاغية في معرفة كنه ذلك الشيء الذي يكمن في أسس الأمن المعنوي والنفسي.. وفي غمرة اهتمامي أحسست بأني اكتشفت ما يحرك قلوبهم ويشغل فكرهم ويحدد لهم اتجاههم، أحسست أيضاً بضرورة اكتشاف القوى الخفية التي تحركني أنا وتشكل دوافعي وتشغل فكري وتعدني أن تهديني السبيل »[١].

«في البداية مهما كانت ضآلة ما عرفت، إلا أنه كان أشبه برفع ستار، بدأت في معرفة عالم من الأفكار كنت غافلاً عنه حتى ذلك الوقت، لم يبد لي الإسلام ديناً بالمعنى المتعارف عليه بين الناس لكلمة دين، بل بدا لي أسلوباً للحياة، ليس نظاماً لاهوتياً بقدر ما هو سلوك فرد في مجتمع يرتكز على الوعي بوجود إله واحد، ففي القرآن نجد أنه لا يبقى لابن آدم إلا عمله الذي سعى إليه ولا توجد حاجة إلى الترهب والزهد لفتح أبواب خفية لتحقيق الخلاص، الخلاص حق مكفول للبشر بالولادة، والخطيئة لا تعني إلا ابتعاد الناس عن الفطرة التي خلقهم اللّه عليها، لم أجد أي أثر على الثنائية في الطبيعة البشرية، فالبدن والروح يعملان في المنظور الإسلامي كوحدة واحدة لا ينفصل أحدهما عن الآخر.. سألت ألا يكون ذلك

(٢) الطريق إلى مكة ص (١٠٠ ـ ١٠١) .

المنهج هو السبب الكامن وراء الإحساس بالأمن والتوازن الفكري والنفسي الذي يميز المسلمين» [(١)] .

«لا يوجد في العالم بأجمعه ما يبعث في نفسي مثل تلك الراحة التي شعرت بها ، والتي أصبحت غير موجودة في الغرب، ومهددة الآن بالضياع والاختفاء من الشرق، تلك الراحة وذلك الرضا اللذان يعبران عن التوافق الساحر بين الذات الإنسانية والعالم الذي يحيط بها » [(٢)] .

«الآراء الشائعة في الغرب عن الإسلام تتلخص في ما يأتي: انحطاط المسلمين ناتج عن الإسلام، وبمجرد تحررهم عن العقيدة الإسلامية وتبني مفاهيم الغرب وأساليب حياتهم وفكرهم فإن ذلك سيكون أفضل لهم وللعالم .

إلا أن ما وجدته من مفاهيم وما توصلت إلى فهمه من مبادئ الإسلام وقيمه أقنعني أن هذه الآراء الشائعة لدى الغرب ليست إلا مفهوماً مشوهاً عن الإسلام.. اتضح لي أن تخلف المسلمين لم يكن ناتجاً عن الإسلام، ولكن لإخفاقهم في أن يحيوا كما أمرهم الإسلام.. لقد كان الإسلام هو ما حمل المسلمين الأوائل إلى ذرى فكرية وثقافية سامية »[(٣)] .

« وفر الإسلام باختصار حافزاً قوياً إلى التقدم المعرفي والثقافي والحضاري الذي أبدع واحدة من أروع صفحات التاريخ الإنساني، وقد

---

(١) الطريق إلى مكة، ص (١٢٧ ـ ١٢٩)

(٢) المرجع السابق .

(٣) المرجع السابق .

وفر ذلك الحافز مواقف إيجابية عندما حدد في وضوح نعم للعقل ولا للجهل، نعم للعمل والسعي ولا للتقاعد والنكوص، نعم للحياة ولا للزهد والرهبنة، ولذلك لم يكن عجباً أن يكتسب الإسلام أتباعاً في طفرات هائلة بمجرد أن تجاوز حدود بلاد العرب، فقد وجدت الشعوب.. ديناً لا يقر مفهوم الخطيئة الأولى، ويؤكد كرامة الحياة البشرية.. جميع ذلك يفسر كيفية انتصار الإسلام وانتشاره الواسع في بداياته التاريخية ويفند الزعم بأنه انتشر بحدّ السيف.

لم يكن المسلمون إذاً هم من خلقوا عظمة الإسلام، بل كان الإسلام من خلق عظمة المسلمين، وبمجرد أن تحوَّل إيمانهم إلى عادة وابتعد أن يكون منهجاً وأسلوباً للحياة خبا وهج النبض الخلاق في تلك الحضارة، وحلَّ محلها تدريجياً التقاعس والعقم وتحلل الثقافة »[١] .

« كانت أهم صفة بارزة لحضارة الإسلام هي الصفة التي انفردت بها عن الحضارات البشرية السابقة أو اللاحقة أنها منبثقة من إرادة حرة لشعوبها، لم تكن مثل حضارات سابقة وليدة قهر وضغط وإكراه وتصارع إرادات ومصالح، ولكنها كانت جزءاً وكلاً من رغبة حقيقية أصيلة لدى جميع المسلمين، مستمدة من إيمانهم بالله وما حثهم عليه من إعمال فكر وعمل، لقد كانت تعاقداً اجتماعياً أصيلاً. لقد تحققت أن ذلك العقد الاجتماعي الوحيد المسجل واقعا ًتاريخياً، وليس مجرد نظرية فقط تحقق على مدى زمني قصير، أو على الأصح أنه على مدى زمني قصير تحقق العقد على نطاق واسع،

---

(١) المرجع السابق .

بعد أقل من مائة سنة من وفاة الرسول ﷺ بدا الشكل النقي الأصيل للإسلام يدبّ فيه الفساد ، وفي القرون التالية بدأ النهج القويم يزاح إلى الخلفية.. لقد حاول المفكرون المسلمون أن يحفظوا نقاء العقيدة، إلا أن من جاءوا بعدهم كانوا أقل قدرة وتقاعسوا عن الاجتهاد ، وتوقفوا عن التفكير المبدع والاجتهاد الخلاق.. كانت القوة الأولى الدافعة للإسلام كافية لوضعه في قمة سامية من الرقي الحضاري والفكري، وهذا ما دفع المؤرخين إلى وصف تلك المرحلة بالعصر الذهبي للإسلام، إلا أن القوة الدافعة قد ماتت بنقص الغذاء الروحي، وركدت الحضارة الإسلامية عصراً بعد عصر لافتقاد القوة الخلاقة المبدعة .

إنَّ ما شغلني أكثر من إخفاق المسلمين المعاصرين في تحقيق منهج الإسلام الإمكانيات المتضمنة في المنهج ذاته كان يكفيني أن أعرف أنه خلال مدى زمني قصير.. كانت هناك محاولة ناجحة لتطبيق هذا المنهج وما أمكن تحقيقه في وقت ما يمكن تحقيقه لاحقاً، ما كان يهمني - كما فكرت في داخلي - أن المسلمين شردوا عن التعليمات الأصلية للدين.. ما الذي حدث وجعلهم يبتعدون عن المثاليات التي علمهم إياها نبيهم قبل ثلاثة عشر قرناً مضت ما دامت تلك التعليمات لا تزال متاحة لهم إن أرادوا الاستماع إلى ما تحمله من رسالة سامية؟ بدا لي كلما فكرت أننا نحن في عصرنا الحالي نحتاج إلى تعاليم تلك الرسالة أكثر من هؤلاء الذين عاشوا في عصر محمد صلى الله عليه وسلم، لقد عاشوا في بيئات وظروف أبسط كثيراً مما نعيش الآن لذلك كانت مشكلاتهم أقل بكثير من مشكلاتنا

،العالم الذي كنت أحيا فيه كله كان يتخبط لغياب أي رؤية عامة لما هو خير و ما هو شر ... لقد أحسست بيقين تام أن مجتمعنا المعاصر يحتاج أُسسا فكرية عقائدية توفر شكلاً من أشكال التعاقد بين أفراده وأنه يحتاج إلى إيمان يجعله يدرك خواء التقدم المادي من أجل التقدم ذاته، في الوقت نفسه يعطي للحياة نصيبها أن ذلك سيرشدنا إلى كيفية تحقيق التوازن بين احتياجاتنا الروحية والبدنية، وأن ذلك سينقذنا من كارثة محققة نتجه إليها بأقصى سرعة، وفي تلك الفترة من حياتي شغلت فكري مسألة الإسلام كما لم يشغل ذهني شيء آخر من قبل، قد تجاوزت مرحلة الاستغراق الفكري والاهتمام العقلي بدين وثقافة غريبين، لقد تحول اهتمامي إلى بحث محموم عن الحقيقة [١] .

مع تعمق محمد أسد في البحث، حتى قبل أن يسلم صار في إمكانه أن يميز بين ما هو إسلام وما هو غريب عنه في تصورات المسلمين وسلوكهم.

في رحلته الأولى إلى الشرق الأوسط، رأى حلقة ذكر يقيمها الصوفية في أحد مساجد (سكوتاري) بتركيا، وفي رحلته الثانية يتذكر حلقة الذكر هذه ويعلق عليها بقوله: (اتضحت في ذهني معاني لم تبد لي عندما شاهدت حلقة الذكر في (سكوتاري) كان ذلك الطقس الديني لتلك الجماعة وهي واحدة من جماعات كثيرة شاهدتها في مختلف البلاد الإسلامية لا يتفق مع صورة الإسلام التي

---

(١) المرجع السابق ص (٣٨٠ ـ ٣٨٦) .

كانت تتبلور في ذهني .. تبين لي أن تلك الممارسات والطقوس دخيلة على الإسلام من جهات ومصادر غير إسلامية. لقد شابت تأملات المتصوفة وأفكارهم أفكار روحية هندية ومسيحية، مما أضفى على بعض ذلك التصوف مفاهيم غريبة عن الرسالة التي جاء بها النبي محمد ﷺ .

أكدت رسالة النبي محمد ﷺ أن السببية العقلية هي السبيل للإيمان الصحيح بينما تبتعد التأملات الصوفية وما يترتب عليها عن ذلك المضمون، والإسلام قبل كل شيء مفهوم عقلاني لا عاطفي ولا انفعالي، الانفعالات مهما تكن جياشة معرضة للاختلاف والتباين باختلاف رغبات الأفراد ومخاوفهم بعكس السببية العقلية، كما أن الانفعالية غير معصومة بأي حال (١) .

قبل أن يسلم يذكر في حوار مع مضيفه حاكم قرية في أفغانستان: (قال الحاكم: «كان داود صغيراً لكن إيمانه كان كبيراً» فلم أتمالك نفسي وقلت باندفاع: «وأنتم كثيرون وإيمانكم قليل» نظر إلي مضيفي مندهشاً فخجلت مما قلت من دون أن أتمالك نفسي وبدأت بسرعة في توضيح ما قلت واتخذ تفسيري شكل أسئلة متعاقبة كسيل جارف قلت: «كيف حدث أنكم معشر المسلمين فقدتم الثقة بأنفسكم تلك الثقة التي مكنت آباءكم من نشر عقيدتكم في أقل من قرن من المحيط الأطلسي إلى أعماق الصين؟ لماذا لا تستجمعون قوتكم وشجاعتكم لاستعادة إيمانكم الفعلي؟

---

(٢) المرجع السابق ص (٢٥٣) .

كيف يصبح رجل تافه منكم ينكر كل قيمة للإسلام رمزاً لكم في الإحياء والنهوض والإصلاح ؟ ظل مضيفي صامتاً .. كان الثلج قد بدأ يتساقط وشعرت مرة أخرى بموجة من الأسى مصحوبة بتلك السعادة الداخلية التي شعرت بها ونحن نقترب من (ده زانجي) أحسست بالعظمة التي كانت عليها تلك الأمة، وبالخزي الذي يغلف ورثتها المعاصرين أردفت مكملاً أسئلتي: «قل لي كيف دفن علماؤكم الإيمان الذي أتى به نبيكم بصفائه ونقائه ؟ كيف حدث أن نبلاءكم وأعيانكم يغرقون في الملذات بينما يغرق أغلب المسلمين في الفقر مع أن نبيكم علمكم أنه لا يؤمن أحدكم أن يشبع وجاره جائع؟ هل يمكن أن تفسر لي كيف دفعتم النساء إلى هامش الحياة مع أن النساء في حياة النبي ﷺ والصحابة ساهمن في شؤون حياة أزواجهن؟ كان مضيفي ما زال يحملق فيّ دون كلمة وبدأت اعتقد أن انفجاري ربما سبب له ضيقاً، في النهاية همس (ولكن أنت مسلم) ضحكت وأجبته كلا لست مسلماً لكني رأيت الجوانب العظيمة في رسالة الإسلام مما يجعلني أشعر بالغضب وأنا أراكم تضيعونه، سامحني إن تحدثت بحِدة أنا لست عدواً على أي حال » إلا أن مضيفي هز رأسه قائلاً : «كلا أنت كما قلت لك مسلم إلا أنك لا تعلم ذلك، لماذا لا تعلن الآن أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله وتصبح مسلماً بالفعل بدلاً من أن تكون مسلماً بعقلك فقط قلت: لو قلتها في أي وقت فسأقولها عندما يستقر فكري عليها ويستريح لها، قال : ولكنك تعرف عن الإسلام أكثر مما يعرفه أي واحد منا قلت : المسألة ليست مسالة فهم بل أن أكون مقتنعاً، أن أقتنع أن القرآن كلمة الله، وليس

ابتداعاً ذكياً لعقلية بشرية عظيمة»، ولم تنمحِ كلمات مضيفي الأفغاني من ذهني على مدى شهور طويلة [١].

٢ / كل مسلم متعلم حتى لو كان متطرفاً يسلم بأن الإسلام دين الوسطية والاعتدال، وهذا الحكم تحتمه السمة البارزة التي تطبع أحكام الإسلام ونظامه السلوكي، هذه السمة التي حرص القرآن الكريم وأحاديث الرسول محمد ﷺ على إبرازها .

إليك مثلاً الآيات الكريمة الآتية :

﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا ﴾ (١٤٣ سورة البقرة)، ﴿ وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ ٱلْبَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُومًا مَّحْسُورًا ﴾ (٢٩ سورة الإسراء)، ﴿ وَٱلَّذِينَ إِذَآ أَنفَقُوا۟ لَمْ يُسْرِفُوا۟ وَلَمْ يَقْتُرُوا۟ وَكَانَ بَيْنَ ذَٰلِكَ قَوَامًا ﴾ (٦٧ سورة الفرقان)، ﴿ وَأَنزَلْنَا مَعَهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْمِيزَانَ لِيَقُومَ ٱلنَّاسُ بِٱلْقِسْطِ ﴾ (٢٥ سورة الحديد)، ﴿ وَٱلسَّمَآءَ رَفَعَهَا وَوَضَعَ ٱلْمِيزَانَ ﴿٧﴾ أَلَّا تَطْغَوْا۟ فِى ٱلْمِيزَانِ ﴿٨﴾ وَأَقِيمُوا۟ ٱلْوَزْنَ بِٱلْقِسْطِ وَلَا تُخْسِرُوا۟ ٱلْمِيزَانَ ﴾ (٩ سورة الرحمن).

وعلى العكس ورد الذم والتشنيع على التطرف في أكثر من سبعين موضعاً في القرآن تحت أسماء: الغلو والإسراف والاعتداء والطغيان.

---

(١) المرجع السابق ص (٣٧٥ ـ ٣٧٦) .

وبالرغم من أن الثغرة التي لابد من وجودها بين النظريات المجردة والأفعال الواقعية كانت (كما يقول ول ديورانت) أضيق في الإسلام منها في سائر الأديان. إلا أنه فيما يتعلق بالتطرف والاعتدال، فإن أول انحراف في الإسلام ظهر على يد الخوارج وهم طائفة عرفت بالتطرف وما يصاحب التطرف عادة من التعصب والعنف وقد انتهى تطرف هذه الطائفة بقتل الخليفة عثمان ثم الخليفة علي وكان إنحراف هذه الطائفة بداية لانحرافات مختلفة ومتعددة .

وكانت هذه الانحرافات على اختلافها وتناقضها تتسم في كثير من الأحيان بتطرفها الفكري وما يصاحب ذلك من عدم التسامح وأحياناً العنف .

إن التطرف قريب من الطبيعة البشرية ذلك أن الإنسان بطبعه يعجز غالباً عن النظرة الشمولية في كل الأحوال، إذ يستحوذ على اهتمامه جانب معين من القضايا ، فيميل إلى النظر غير المتوازن، ويبلغ حد الخطر إذا اتصل الأمر بعلاقة الإنسان بغيره .

وبما أن التطرف والوسطية أمران نسبيان، وبما أنهما يتأثران بالمزاج الشخصي، والثقافة، والظروف البيئية، فلا غرو أن نجد الشخص معتدلاً في مجال ومتطرفاً في مجال آخر، ولا غرو أن لا نجد شخصاً يعترف بأنه متطرف .

هل يمكن مثلاً أن تعترف فرنسا أن منعها المسلمة من تغطية رأسها بدعوى أن ذلك خطر على العلمانية .. تطرف ؟

تفخر فرنسا بسبقها في إعلان وثيقة حقوق الإنسان وقد ظلت مائتي سنة لا ترى أن حمل شخص رمزاً دينياً في مكان عام يناقض علمانية الدولة أو يشكل خطراً عليها وكان يمكن أن تظل كذلك مائتي سنة أخرى، لولا أنها رأت أن تمنع تغطية الفتاة المسلمة رأسها في المدارس أو مواقع العمل .

وفي خطاب الرئيس شيراك في (٢٠٠٣/١٢/١٧م) الذي أعلن فيه تأييده لسرعة إصدار قانون يسمح بهذا المنع، وردت مثل هذه العبارات (إن العلمانية الفرنسية ضمان لحرية الفكر والضمير وحامية لحرية المعتقد! تؤمن لكل فرد إمكانية ممارسة شعائره، والتعبير عن إيمانه بكل طمأنينة وحرية دون أن يجد نفسه تحت وطأة التهديد بأن تفرض عليه قناعة أو معتقدات أخرى) وأشار الخطاب لهذا العصر الذي (باتت فيه الظلامية ومعها التعصب يسجلان امتداداً في العالم) .

من المناسب أن يقرأ الإنسان هذه العبارات مرتبطة بعبارات فتوى شيخ الأزهر في الموضوع حيث يقول «إن الحجاب للمرأة المسلمة فرض إلهي وإذا قصرت في أدائه حاسبها الله على ذلك ولكن المرأة المسلمة إذا خضعت لقانون دولة غير إسلامية يمنعها من ممارسة هذه الشعيرة الواجبة فإنها تكون من الناحية الشرعية في حكم المضطر» يقصد شيخ الأزهر أن المسلم حين يكره على الإخلال بواجب ديني أو على ارتكاب محرم فإنه لا يأثم مثل أن يضطر لأكل الميتة إذا لم يجد غيرها وخشي الموت من الجوع .

لقد أبدت الإدارة الفرنسية سرورها لموقف شيخ الأزهر المتسامح ولكن لا يظن حقيقة أنها سعيدة بأن يوصف قانونها بأنه يكره شخصاً من الفرنسيين على عدم ممارسة شعيرة من شعائر دينه يعتقد أنه يأثم إذا تركها بدون إكراه وأن القانون بذلك ينتهك حق الإنسان في حرية الدين .

لقد صيغ خطاب الرئيس شيراك بعاطفية وحماس لا يملك من سمعه إلا الشعور بأن صيغته صيغة خطاب يوجه فقط في حالة من حالات المواجهة لأزمة تاريخية، والحال حقاً أن الخطاب يعبر عن مواجهة السياسية الفرنسية لتحد بالغ، لقد اضطرت بأن تظهر بمظهر التطرف في الأيديولوجية العلمانية، وهذا المظهر وإن كان المعتقد أنه لا يعبر عن تطرف في العلمانية، وإنما استخدم للتبرير السياسي بغرض إخفاء تطرف في مجال آخر إلا أن التطرف الزائف كالتطرف الحقيقي يواجه أزمة التناقض مع ذاته .

إن دول شمال أوروبا ليست أضعف إيماناً من فرنسا بالعلمانية، ومع ذلك يعتقد أن سجلها الناصع في احترام حقوق الإنسان سيحميها من مواجهة مثل هذه الأزمة الخلقية التي واجهتها فرنسا.

٣ / الابن الطبيعي للوسطية والاعتدال: التسامح والاستعداد لتقبل الآخر والتعايش معه، لقد كان التسامح في الإسلام من الظهور والوضوح بحيث لم يخف على المفكرين والمؤرخين الغربيين .

يقول ول ديورانت في قصة الحضارة (ج ٥ ص ١٣٣) : «على الرغم من خطة التسامح الديني التي كان ينتهجها المسلمون الأولون أو بسبب هذه الخطة اعتنق الإسلام معظم المسيحيين وجميع الزرادشتيين والوثنيين إلا قليلاً منهم وكثير من اليهود».

ويقول غوستاف لوبون في كتابه حضارة العرب ترجمة عادل زعتر (ص ٦٠٥): «الحق أن الأمم لم تعرف فاتحين متسامحين مثل العرب ولا ديناً مثل دينهم وما جهله المؤرخون من حلم العرب الفاتحين وتسامحهم كان من الأسباب في سهولة اعتناق كثير من الأمم لدينهم ونظمهم ولغتهم التي رسخت وقاومت جميع الغارات وبقيت قائمة حتى بعد أن تولى سلطان العرب عن مسرح العالم».

وقال في (ص ٤٣٠): «وكانت أخلاق العرب في أدوار الإسلام الأولى أرقى كثيراً من أخلاق أمم الأرض قاطبة.. وكان عدلهم واعتدالهم وتسامحهم نحو الأمم المغلوبة ووفاؤهم بعهودهم ونبل طبائعهم مما يستوقف النظر ، وناقض سلوك الأمم الأخرى».

وفي (ص ١٢٦): « والإسلام من أكثر الديانات ملاءمة لاكتشافات العلم ومن أعظمها تهذيباً للنفوس وحملاً على العدل والإحسان والتسامح ».

وفي (ص ٢٦٦): « وأحسن العرب سياسة أسبانيا كما أحسنوا سياسة أهل سوريا ومصر فقد تركوا لهم أموالهم وكنائسهم وقوانينهم وحق المقاضاة إلى قضاة منهم ».

وقال في (ص ٢٧٦): «واستطاع العرب أن يحولوا أسبانيا مادياً وثقافياً في بضعة قرون، وأن يجعلوها على رأس الممالك الأوروبية بل أثروا في أخلاق الناس، فهم الذين علموا الشعوب النصرانية أو حاولوا أن يعلموها التسامح الديني الذي هو أثمن صفات الإنسان».

وفي ص ٥٧٠: «ويمكن القول أن التسامح الديني كان مطلقاً في دور ازدهار حضارة العرب وقد أوردنا على هذا غير دليل».

وفي كتاب: الموسوعة المختصرة للإسلام (Gibb and Kromer, Short Encyclopedia of Islam) ص 206 : «لكي نفهم التطور التاريخي لاتجاه الإسلام بالنسبة لغير المسلمين ينبغي أن نلاحظ أن هذا الاتجاه كان قد استقر منذ القرون الأولى محكوماً بالظروف السياسية والاجتماعية أكثر من الدينية، إنه حتى في وقت الحروب الصليبية كان التسامح هو الاتجاه السائد للإسلام بالنسبة لغير المسلمين لا سيما اليهود والنصارى، هذا التسامح الذي من المستحيل أن نتصور شبيهاً به في الممالك المسيحية ، وفي ذلك العصر المبكر لا توجد أي صورة من التعصب الديني تجاه غير المسلمين».

وفي كتاب (Blyden, Christianity, Islam and Negro Race Ed ط 1969م ص 25): «تحت حكم الحكومات الإسلامية في أسبانيا كانت الجماهير من السكان المسيحيين تتمتع بحماية التسامح العريض الذي لم يكن نتيجة الاختيار السياسي بل مقتضى القانون الإسلامي، فكان المسيحيون يحكمون بقوانينهم الخاصة

ومحاكمهم الخاصة حينما تكون القضية بينهم أنفسهم، وكانوا يحتفظون برؤسائهم الدينيين وكنائسهم».

وفي كتاب : الدور التاريخي للإسلام (M. N. Roy, the Historical Role of Islam): «الخلفية التاريخية للإسلام والظروف الاجتماعية التي نشأ فيها طبعته بطابع التسامح الذي قد يظهر للعين غير المدركة لا يتفق مع روح التعصب التي اعتدنا تقليدياً بأن نربطها بالإسلام، ولكن لا إله إلا الله وحدها تخلق التسامح».

وفي كتاب (Islam at the Crossroads) ص 72 ، 73 : «أخلاقية الإسلام ethics في تصورها للسلوك الخلقي بالنسبة للفرد والمجتمع هي بلا حدود أرفع وأكثر كمالاً من مثيلتها في الحضارة الغربية، الإسلام ألغى الكراهية الإنسانية وفتح الطريق للأخوة والمساواة بين البشر، ولكن الحضارة الغربية لا تزال عاجزة عن أن تنظر أبعد من الأفق الضيق للشقاق العرقي والقومي، الإسلام لم يعرف قط الطبقية أو حرب الطبقات ولكن التاريخ الأوروبي منذ عهد الإغريق والرومان مملوء بالصدام الطبقي والكراهية الاجتماعية».

هذه الملاحظة التي يكاد يتفق عليها من كتبوا عن الإسلام من المفكرين الغربيين المحايدين التي تشير إلى أن التسامح مكون أساسي من طبيعة الإسلام، استلهمت من عشرات الآيات من القرآن والمئات من الأحاديث التي تأمر بالعفو والمغفرة والحلم والصبر على الأذى ومقابلة الإساءة بالإحسان وكان من الطبيعي أن يظهر أثر هذا التسامح في التعامل الإنساني مع الشعوب المغلوبة، والقدرة على

التعايش الإيجابي مع المخالف، إذ بقيت الأقليات المخالفة للمسلمين في الدين تتمتع بما يشبه الحكم الذاتي فكانت هذه الأقليات تستقل بوضع قوانينها وبقضائها واستثنيت من القانون الجنائي العام في الأمور التي لا تعتبر محرمة في دين الأقلية.

وكانت نتيجة ذلك الاندماج بين الأقلية المحكومة والأغلبية الحاكمة مما أثبت عملياً أن السبيل العملي للاندماج بين المواطنين المختلفي الثقافة وقدرتهم على العيش معاً بانسجام هو التسامح وليس التعصب والضغط والاضطهاد.

٤ / كان من نتائج هذا القدر العظيم من التسامح أو ربما كان من أسبابه انتفاء التمييز بين البشر والذي اعتبر من أعظم إنجازات الإسلام، وطبقه المسلمون بصورة ربما لم يسبق لها مثيل في الحضارات السابقة، ولم يكن هذا أمراً غير طبيعي بل كان تطبيقاً عملياً لمضمون الآية الكريمة ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَـٰكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَـٰكُمْ شُعُوبًا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓا۟ ۚ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ ﴾ (الحجرات: ١٣)، وقول النبي ﷺ في الإعلان العظيم في حجة الوداع « **لا فضل لعربي على عجمي، ولا لعجمي على عربي، ولا لأبيض على أسود، ولا لأسود على أبيض إلا بالتقوى، الناس من آدم، وآدم من تراب** »[1].

(١) رواه أحمد وصححه الألباني.

وقد تكررت دعوة المفكرين الغربيين إلى أن يستفيد الغرب من دروس الإسلام في هذا المجال، من ذلك قول : (A. Toynliee) في كتاب (Civilization on Trial ص 205) أن انعدام التمييز العنصري بين المسلمين هو أحد الإنجازات الرائعة للإسلام وفي العالم المعاصر أعني في العالم المتحضر الحديث توجد حاجة ملحة (crying need) إلى الدعوة لنشر هذه الفضيلة الإسلامية) .

وفي كتابه دراسة للتاريخ (A Study of History) في الصفحة 238 (إن الأخوة الإسلامية بين الأعراق ليست مجرد دعوى نظرية بل هي واقع علمي).

ويقول (Gibb) في كتابه (Whether Islam) صفحة 379: (الإسلام لا يزال قادراً على أن يمنح خدمة جليلة للهدف الإنساني ... لا يوجد مجتمع آخر كالإسلام كان له مثل سجله من النجاح في توحيد هذا العدد الكبير والمتنوع من الأعراق البشرية في مجال المساواة في المركز الاجتماعي والفرص في العمل والنجاح) .

ويقول (غوستاف لوبون) في كتابه حضارة العرب صفحة 391: (إن العرب (المسلمين) يتصفون بروح المساواة المطلقة وفقاً لنظمهم السياسية وأن مبدأ المساواة الذي أعلن في أوروبا قولاً لا فعلاً راسخ في طباع الشرق (الإسلامي) رسوخاً تاماً، وأنه لا عهد للمسلمين بتلك الطبقات الاجتماعية التي أدى وجودها إلى أعنف الثورات في الغرب.

وجاء في (Encyclopedia Britannica v,12 p669) إن العامل الجوهري والأكثر ديناميكية في مجال الأخلاق الاجتماعية

التي منحها الإسلام للإنسانية هو المساواة EQUALISATIONISM وكل أعضاء المجتمع المسلم بغض النظر عن العرق واللون أو المركز الاجتماعي أعضاء متشاركون على قدم المساواة في المجتمع .

٥ / هناك أمر آخر يمكن أن يستفيده الغرب من الإسلام، ولو تم ذلك لأسهم في مقاومة الخطر الذي يهدد البشرية بسبب انتشار أسلحة الدمار الشامل، وهو منهج الإسلام في العلاقات الدولية، إذ أن هذا المنهج ينبني على العدل، العدل المطلق في السلم والحرب مع الأعداء والأصدقاء، ويعتمد آلية فعالة وهي القوة الإلزامية للاتفاقيات ومعلوم دور الاتفاقيات في إنشاء قواعد القانون الدولي .

يقارن هذا المنهج بمنهج الحضارة المعاصرة في العلاقات الدولية المؤسس على المصلحة القومية والقوة .. والذي كان من نتيجته، حربان عالميتان في خلال خمس وعشرين سنة، وسلسلة من الحروب الصغيرة الأخرى وفي كل هذه الحروب استخدمت أكثر الأسلحة تطوراً وأبلغها تدميراً .

يقول ألبرت أينشتاين في كتابه (Out of My Later Years): (لقد أوجدت التكنولوجيا وسائل للتدمير جديدة وفعّالة لم يعهد مثلها الإنسان من قبل وهذه الوسائل حين تقع في أيدي أمم تدعي أن لها الحق في الحرية المطلقة للعمل تصبح تهديداً محدقاً بفناء الجنس البشري).

ويكتب جاك ماريتان الفيلسوف الفرنسي في كتابه (The Range of Religion): (إن وضع المصلحة القومية فوق كل شيء وسيلة لفقد كل شيء، إن العالم الحر لا يمكن تصوره إلا بالاعتراف بأن الصدق هو التعبير عما هو واقع والصواب هو التعبير عما هو عادل، وليس التعبير عما هو نافع في وقت معين لمجموعة بشرية معينة).

ويقول برتراند رسل في كتابه (Hopes for Changing World): (إن العالم يواجه كارثة محققة وهو يتساءل في حيرة لماذا لا يلوح في الأفق مجال للنجاة من مصير مؤسف لا يرغب به أي إنسان ؟ وأن السبب الرئيس في ذلك أننا لم نُهيئ عقولنا للتعامل مع وسائلنا التكنولوجية.. إذا أردنا أن نحيا حياةً سعيدة... فلا مناص لنا من نبذ بعض الآراء والاستعاضة عنها بغيرها فنستعيض بالمساواة عن حب السيطرة، وبالتعاون عن التغالب، وبالعدل عن حب الغلبة وشهوة الانتقام).

خلاصة :

من قراءة الفقرات السابقة يمكن أن يكون الشخص رؤية عن الإسلام تتلخص في الآتي :

(أ) الإسلام منهج كامل للحياة وكلٌ لا يتجزأ .

(ب) الإسلام يوجد لدى الإنسان تلاحماً عضوياً بين الفكر والحواس وتوازناً في الاستجابة لحاجات الجسد وحاجات الروح وتوافقاً بين الإنسان والعالم المحيط به .

(جـ) الإسلام أوجد في الماضي ولا يزال في إمكانه الآن أن يمنح قوة دافعة للتطور الإيجابي وحافزاً قوياً للتقدم المعرفي والحضاري والإنساني .

(د) الإسلام بدعوته للوسطية والاعتدال، ومقاومته للتطرف، واعتماده التسامح قاعدة للتعامل بين بني الإنسان، وإلغائه للتمييز العنصري والتعصب الطائفي والإقليمي، وفرضه العدل المطلق حدا أدنى في علاقة المسلم بغيره، الإسلام بكل هذا يقدم عوامل إيجابية لتحقيق الحرية والأمن والسلام .

(هـ) ليس المسلمون في الماضي هم من أوجد عظمة الإسلام وإنما الإسلام هو من أوجد عظمة المسلمين، والمسلمون يعيشون حالة التخلف والانحطاط ليس بسبب تطبيقهم لمبادئ الإسلام وقيمه، وإنما بسبب تخليهم عن تطبيق هذه المبادئ والقيم .

(و) سبب تخلف المسلمين فقدهم لصفاء الإسلام ونقائه، وعجزهم عن تطبيقه كما طبقه المسلمون الأولون من الصحابة وتابعيهم .

إن رؤيتنا للإسلام والمسلمين تماثل هذه الرؤية،

ونسجل أنه يمكن تفسير إجاباتنا عن الأسئلة في ضوء ذلك.

السؤال الأول :

مؤسستكم معروفة بالمنهج السلفي ويطلق عليه الإسلام الأصولي، ما هي وجهة نظركم نحو الإسلام الأصولي وما هو طريق دعوتكم إليه وما هي وجهة نظركم تجاه غير المسلمين ؟

الجواب :

المنهج السلفي

لو سألت أي مسلم : هل أنت سني أو شيعي أو حنفي أو شافعي فسيجيبك فوراً بلا أو نعم، لأن معاني هذه الاصطلاحات محددة وواضحة في الدلالة على معانيها .

ولكن لو سألته هل أنت سلفي فلن يستطيع أن يجيبك بلا أو نعم حتى يسألك بدوره: ماذا تعني بسلفي ؟

السبب أن هذا الاصطلاح ليس له مفهوم محدد ، وفي كثير من الأحيان يكون مضللاً، يمكن أن يستعمل هذا الاصطلاح في مجال الادعاء أو مجال الاتهام. يحدث أن يدعي أناس مختلفون في الاتجاه أو متناقضون في التفكير بأنهم سلفيون كما يحدث أن يوصف أناس مختلفون في الاتجاه أو متناقضون في الفكر أنهم سلفيون.

إن المعنى اللغوي للسلفي، يعني المنسوب للسلف وهم الأشخاص السابقون، وفي المصطلح الإسلامي صحابة الرسول ﷺ وتابعوهم ومن سار على منهجهم وطريقتهم .

فإذا كان المقصود بالسلفي من يعتبر القرآن والحديث المصدرين الأساسيين للإسلام، ويرى أنه لا يجوز رفض أي أمر يقرره القرآن أو الحديث الصحيح ويحترم الصحابة ويراهم أهلاً للاقتداء باعتبار أنهم هم الذين طبقوا الإسلام على الوجه الصحيح، فالغالب أن

أي مسلم سني متعلم يعتبر سلفياً بهذا المعنى وإن لم يسم نفسه سلفياً، وذلك باستثناء عدد محدود من المتطرفين يرفضون أي أمر أو نهي في القرآن والحديث الصحيح إذا لم يكن متفقاً مع فلسفة الحياة الغربية .

وإذا كان المقصود بالسلفي من يسلم بالمعنى الأول وبالإضافة إليه يرفض تقديس القبور والاعتقاد بوجود قدرات ميتافيزيكية للصالحين سواء من الأحياء أو الأموات ويرفض أي طقوس عبادية تضاف إلى العبادات الموجودة في وقت الرسول ﷺ والصحابة. (مثل الاحتفال بمولد الصالحين، ورقص الصوفية).فإن عدداً أقل من عامة المسلمين سيدعي بأنه سلفي، (مثلاً الديوبنديون في القارة الهندية).

وإذا كان المقصود من يسلم بالمعنى الثاني ولكن يضيف إليه أنه مع الانتساب إلى أحد المذاهب الفقهية (الحنبلي مثلاً) يمكن الاجتهاد واختيار رأي فقهي من أحد المذاهب الأخرى، كما يرى رفض بعض الميتافيزيكيات التي يعتبرها خرافات وأوهاماً (مثل تعليق التمائم، واعتقاد أن بعض الأيام أيام نحس وبعضها أيام سعد، والتبرك بآثار الصالحين) فإن عدداً قليلاً بالنسبة لعامة المسلمين (هم من المتعلمين غالباً) سيدعي بأنه سلفي (مثلاً: محمد بن عبد الوهاب، محمد عبده، عبد الحميد بن باديس، والبشير الإبراهيمي).

وإذا كان المقصود من يسلم بالمعنى الثالث عدا أنه يرفض الانتساب لمذهب من المذاهب الفقهية ويرفض التقليد رفضاً تاماً، ويلتزم هيئة معينة في أداء الصلاة قد تختلف عن الهيئة الشائعة بين

مقلدي المذاهب فإن عدداً من الشباب في الشرق الأوسط وشمال أفريقيا وجماعات أهل الحديث في القارة الهندية سلفيون بهذا المعنى .

وفي الجدل اللاهوتي في الماضي وجدت فرق إسلامية تؤول صفات الله في القرآن والحديث أو بعضها بمعان تبعدها عن ظاهرها تفادياً لتشبيه الله بالمخلوق مثل المعتزلة والأشعرية ، وإلى جانبهم وجدت طائفة تنكر تأويل الصفات المنسوبة إلى الله في القرآن والحديث وترى إقرارها على ظاهرها مع تنزيه الله عن تشبيه صفاته بصفات المخلوقين وتسمى هذه الطائفة نفسها بالسلفيين (مثلاً ابن تيمية وابن القيم في القرن الثامن الهجري).

يلاحظ مما سبق أن السلفية مفهوم يتعامل مع قضايا لاهوتية بحتة ، ولم يكن هذا الاصطلاح يتصل بقضايا سياسية مثل علاقة المسلم بغير المسلم قبل خمسة عشر عاماً أي قبل أزمة الخليج التي انتهت بالحرب ضد العراق.

بعد اجتياح صدام للكويت ووجود الجيش الأمريكي في المملكة العربية السعودية ، وجدت معارضة شديدة لوجود الأمريكيين ليس من قبل صدام أو ابن لادن فحسب بل من كل المعارضين للسعودية أو أمريكا من المسلمين سواء في القارة الهندية (الهند ، باكستان بنغلاديش) أو الأردن أو شمال أفريقيا ، وكانت غالبية المعارضين ممن لا يتسمون بالسلفية ، ولا سيما بالمعنى الثالث أو الرابع المشار إليهما فيما سبق وبالعكس كان المتسمون بالسلفية بالمعنى الثالث أو الرابع أقرب إلى تبني وجهة النظر السعودية .

ويظهر هذا جلياً في المظاهرات التي نظمتها المعارضة أو نظمت ضدها سواء في القارة الهندية أو جنوب شرق آسيا وكان التبرير الديني لدى المعارضة أنه توجد أحاديث عن النبي ﷺ تقضي بأن لا يوجد دين منافس للإسلام على أرض شبه الجزيرة العربية .

وكان لبعض السلفيين بالمعنى الثالث والرابع رأي مخالف يوافق رأي السعوديين.

لقد كان أنجح عمل إعلامي لصدام حسين هو عرض فيلم (زائف) يظهر جنوداً أمريكيين حول مكة والمدينة لقد أشعل هذا الفلم غضباً لدى جماهير العالم الإسلامي في القارة الهندية وجنوب شرق آسيا فانطلقت المظاهرات صاخبة ضد السعودية، منددة بوجود الأمريكيين على أرض السعودية (أرض الحرمين الشريفين).

بدأت تظهر في الإعلام الأمريكي في منتصف العقد الأخير من القرن المنصرم نغمة تتحدث عن الإرهاب وتربطه بالثقافة الدينية السائدة في السعودية.

وبعد حادث ١١ سبتمبر ٢٠٠١ م، وفور هزيمة الجيش العراقي أمام جيش التحالف الدولي في مدة قياسية قصيرة، الأمر الذي أوجد إغراء للإدارة الأمريكية لاتخاذ إجراءات معينة ضد بعض الدول المجاورة للعراق، نشطت الإدارة الأمريكية لتأكيد فكرة ربط الثقافة السائدة في السعودية بالإرهاب . فحشدت خلال عام ٢٠٠٣م مجموعة من كبار موظفيها ومن الخبراء من خارج الإدارة للشهادة أمام لجان الكونجرس في جلسات عديدة بغرض إقناع الرأي العام أن الثقافة الدينية السائدة في السعودية تخلق الإرهاب، أو تدعمه، أو

تتعاطف معه، وذلك بزعم أن الثقافة السائدة في السعودية (الوهابية أو السلفية) لها اتجاه خاص يميزها عن غيرها من الاتجاهات الدينية الأخرى في العالم الإسلامي، فيما يتعلق بعلاقة المسلم بغير المسلم ، وفي هذا السبيل خصصت أكثر من جلسة استماع لإقناع الكونجرس بأن كل المؤسسات الخيرية السعودية تمول الإرهاب، وإن كانت كل هذه الشهادات لم تتمكن من ذكر وقائع محدده تسند اتهامها فضلاً عن إيراد أدلة إثبات على مثل هذه الوقائع.

بل إنه ظهرت فيما بعد أدلة قاطعة ثبتت كذب الاتهام فعلى سبيل المثال: في مايو ٢٠٠٣م اختطف الأمريكيون مدير مكتب مؤسسة الحرمين الخيرية السعودية في تنزانيا وانتهى به الأمر إلى سجن (باغرام ـ سيء السمعة) في أفغانستان وتعرض لأقسى أنواع التعذيب، ووقتها أعلن أن المكتب أغلق لأن مديره كان يخطط لعمليات إرهابية.

وبعد خمسة عشر شهراً من سجن هذا المدير المتهم أطلق سراحه واعترفت الإدارة الأمريكية بأن القبض عليه واتهامه حدث خطأ.

وعندما صدر تقرير لجنة الحادي عشر من سبتمبر المقدم للكونغرس الأمريكي تضمن فصلا خاصاً عن مؤسسة الحرمين الخيرية، وتضمن نصوصاً صريحة تفرض على من يقرأها بتأمل الاقتناع ليس فقط بأن الإدارة الأمريكية لا تملك الدليل على اتهامها لمؤسسة الحرمين الخيرية وتصنيفها بأنها تدعم الإرهاب، بل إلى الاقتناع بكذب الاتهام، ويلاحظ أن المؤسسة المذكورة هي أكثر المؤسسات السعودية التي تعرضت للأذى من قبل الإدارة الأمريكية .

التبرير الديني لمعارضة وجود الجيش الأمريكي في السعودية، واتهام الثقافة الدينية السعودية بأنها خطر على السلام العالمي بزعم أن هذه الثقافة تختلف عن غيرها من الاتجاهات الإسلامية الأخرى فيما يتعلق بعلاقة المسلم بغير المسلم .

كلا التبريرين في الحالتين واضح الزيف يتضح ذلك فيما يأتي:

في الحالة الأولى:

لم يسبق في الفترة الماضية لأحد (حتى لو كان أكثر المتدينين تشدداً في السعودية أو غيرها) أن اعترض على وجود غير المسلمين على أرض السعودية بمبرر ديني. (مكة والمدينة لهما وضع استثنائي خاص).

في الخمسينات من القرن المنصرم كانت توجد قاعدة عسكرية أمريكية على أرض السعودية، ووجدت معارضة قوية لبقائها وكانت هذه المعارضة من القوة بحيث لم تستطع الحكومة السعودية مقاومتها فطلبت من الولايات المتحدة إجلاء هذه القوة، واستجاب الأمريكيون وفككوا قاعدتهم ، ولكن في هذه المرة كانت المعارضة من القوميين وهم على كل حال يفكرون في اتجاه معاكس للمتدينين، وكانت مبررات المعارضة بالطبع وطنية لا دينية.

حتى ابن لادن لم يكن له اعتراض على وجود غير المسلمين من غير الأمريكيين سواء كان غير المسلمين من اليابانيين أو الكوريين أو السويديين أو غيرهم .

وفي الحالة الثانية :

لا تجهل الإدارة الأمريكية أنه خلال السبعين سنة الماضية لم يكن لأي بلد أجنبي وجود على أرض السعودية مثل ما كان لأمريكا، كانت المملكة العربية السعودية تعج بالأمريكيين (شركات، ورجال أعمال، وخبراء وعمال وجواسيس) ومع ذلك فبشهادة الأمريكيين أنفسهم لم توجد حالة واحدة ميز فيها ضد أمريكي بسبب دينه النصراني لا من جهة القانون، ولا من جهة شروط العمل ولا حتى معاملة الشخص العادي.

ولا تجهل الإدارة الأمريكية أن الأجانب في السعودية يزيدون على (٢٥ ٪) من السكان ونصفهم على الأقل من غير المسلمين ومع ذلك فلم تذكر حالة واحدة ميز فيها في المعاملة بين الهندي المسلم والهندي الهندوسي أو الفلبيني المسلم والفلبيني النصراني أو التايلندي المسلم والتايلندي البوذي . سواء بالنسبة للقانون أو لشروط العمل أو حتى معاملة الشخص العادي (الاستثناء الوحيد عدم السماح بدخول غير المسلمين مكة والمدينة، وعدم السماح ببناء أماكن للعبادة والاستثناء كما يقال يؤيد القاعدة ولا ينقضها ، وعلى كل فإن هذه أحكام دينية يتفق عليها المسلمون ولا يختص بها السعوديون فلا يصح الاستدلال بها على أن الثقافة السائدة في السعودية تختلف عن أي ثقافة سائدة في أي قطر إسلامي آخر فيما يتعلق بعلاقة المسلم بغير المسلم) .

إنه لم يسبق لأمريكا قبل الفترة الأخيرة أن اتهمت الثقافة السعودية السائدة بمثل هذا الاتهام، ولا تدعي أمريكا أن الثقافة السعودية تغيرت واكتسبت السعودية خلال عشر سنوات ثقافة

متشددة لم تكن لها من قبل (إذا وجد أفراد شذاذ فهذا لا يغير من الأمر شيئاً).

إن الثقافة الدينية السائدة إذا افترضنا أنها تتميز عن غيرها وأنها تستحق اسماً خاصاً (وليكن الوهابية) فإن الوهابية بسبب ظروف مختلفة تعرضت خلال المائتين وخمسين سنة الماضية للهجوم والنقد والاتهام بالحق وبالباطل مثل إتهامها أنها تعادي الاتجاهات الإسلامية الأخرى وتتطرف في عداوة المسلمين الآخرين، ولكن لم يسبق قط أن اتهمت بأن لها اتجاها خاصاً يميزها عن غيرها بالنسبة لعلاقة المسلم بغير المسلم.

هذا التصور الجديد للسلفية في بروبوجاندا ابن لادن و البروبوجاندا الأمريكية رسخ في الأذهان كحقيقة مسلمة في فترة من الزمن قصيرة، وليس هذا غريباً على القوة المذهلة للإعلام المعاصر فهناك ما هو أغرب إليك هذا المثال :

بعد الحادث الإجرامي الفظيع في ١١ سبتمبر بثلاثين ساعة اقتنع العالم كله بأن الإدارة الأمريكية اكتشفت هوية اثنين من الطيارين الانتحاريين اللذين ملأت صورهما الشاشات التلفزيونية هما الأخوان بخاري سعوديا الجنسية وفي خلال ثلاثة أيام عرف العالم كله أن الإدارة الأمريكية اكتشفت هوية تسعة عشر هم الخاطفون المفترضون للطيارات الأربع وقيل إن منهم أحد عشر من الجنسية السعودية، وكانت الأماكن العامة والمطارات العالمية ومحطات القطارات تعرض صور الانتحاريين التسعة عشر وأسماءهم، وبالرغم أنه لم يمض عشرة أيام على الحادث حتى ظهر أن أحد الأخوين بخاري

لا يزال حياً، وأن الآخر كان قد مات قبل سنة من الحادث، وحتى ظهر أن ثمانية من السعوديين الانتحاريين المفترضين أعلنوا أنهم لا يزالون أحياء، إلا أن الأخبار التي دخلت في الأذهان لأول مرة ظلت قناعة راسخة لا تتزعزع، وحتى في السعودية ذاتها لا يزال الناس يرددون بأن خمسة عشر سعودياً كانوا ضمن الانتحاريين المفترضين على الطائرات الأربع .

إن الإعلام الغربي وبخاصة الإعلام الأمريكي لديه قدرة على توظيف معطيات علم النفس الاجتماعي ومنها أن المتلقي عادة ضعيف الذاكرة، وحتى لو كان قوي الذاكرة فإنه عادة لا يلجأ إلى تحليل الأخبار ومقارنتها، والانتباه إلى معارضتها للواقع الملموس وإن المتلقي عادة يصدق من الأخبار ما يحب تصديقه ، وإن السياسيين والإعلاميين كثيراً ما يراهنون على تكنولوجيا الكذبة التي لا تصدق هذه التكنولوجيا التي وردت في كتاب (كفاحي) ولكن لم تكن من اختراع (هتلر) بل كان الناس يمارسونها من عهد (مكيافللي).

ويعرف الساسة والإعلاميون أن الخبر وإن ظهر فيما بعد كذبه فإن ذلك يكون بعد أن حقق الخبر غرضه ووجَّه المتلقي إلى الوجهة المطلوبة.

في ضوء ما سبق نقول إن كانت السلفية بالصورة التي تظهر بها في الخطاب الإعلامي لابن لادن أو لأمريكا فهي بالتأكيد ليست لنا.

أما إن كانت السلفية تعني اعتقاد :

(أ) أن الإسلام في خلال أربعة عشر قرناً وجد في بيئات تتشكل من فسيفساء من الأعراق والثقافات والخلفيات التاريخية ، وأنه تأثر بذلك فبعد عن الصورة النقية للإسلام كما هي في القرآن والأحاديث الصحيحة .

(ب) وأن الصورة النقية للإسلام جرى تطبيقها في عصور الإسلام المبكرة وبالذات في عهد الخلفاء الأربعة .

(جـ) وأن هذه العصور المبكرة كانت هي العصر الذهبي للإسلام .

(د) وأن هذه الصورة التي طبق بها الإسلام مبكراً هي بالمقارنة مع الصور الأخرى للإسلام التي ظهرت في عصور لاحقة أقرب إلى مبادئ الإسلام الأساسية ، مثل توحيد الله ورفض الخرافات والأوهام، ورفض الطبقية والتمييز بين البشر بسبب العرق أو اللون أو الجغرافيا أو التاريخ أو الجنس واعتبار العدل هو الحد الأدنى في علاقة المسلم بغيره مسلماً أو غير مسلم في السلم والحرب، وأن من وراء هذا الحد الأدنى الدعوة إلى مقابلة السيئة بالإحسان والبر والعفو والصبر والتسامح، وتأييد فكرة التعاون بين البشر ورفض روح الصراع .

(هـ) وأن الإسلام بمرونته وقدرته على التطور الإيجابي ودعوته للاجتهاد وعدم التقليد الأعمى صالح لكل زمان ومكان .

(و) وأنه إن صح ما يقوله المؤرخ أرنولد توينبي أن عشرين حضارة كلها بدون استثناء بادت بسبب الحرب أو نظام الطبقات، وأن حضارتنا الحديثة ليست محصنة عن هذا المصير.

وإذا كان واقعاً أن العلاقات الدولية تؤسس حالياً على المصلحة القومية (أو الأنانية الوطنية) والقوة. فإن الإسلام بإلغائه النظام الطبقي، واعتباره أن إرادة العلو والفساد في الأرض وسفك الدماء ثالوث يمثل أسوأ صور الشر في علاقة الإنسان بغيره حيث يكون الأول خطراً على الحرية والثاني تدميراً للطبيعة المادية والثالث عدواناً على الحياة البشرية.

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ قَالُوٓاْ أَتَجۡعَلُ فِيهَا مَن يُفۡسِدُ فِيهَا وَيَسۡفِكُ ٱلدِّمَآءَ ﴾ (البقرة: ٣٠) وقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ تِلۡكَ ٱلدَّارُ ٱلۡأٓخِرَةُ نَجۡعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوّٗا فِي ٱلۡأَرۡضِ وَلَا فَسَادٗا ﴾ (القصص: ٨٣).

وأن الإسلام باعتماده العدل حداً أدنى للعلاقات بين الدول.

إن الإسلام بهذه التصورات يمكن أن يقدم للبشرية ما يبعد عنها شبح الفناء والدمار.

(ز) وفي الأخير إن القرآن (مصدر التفسير الصحيح للإسلام) لم يتغير نصه منذ عهد الرسول ﷺ، وإن العلم لم يكتشف حتى الآن من الحقائق ما يناقض أي جزء من مضامينه أو أن جزءاً منه ينفي علمياً أو عقلانياً أن يكون (كلمة الله).

إذا كانت السلفية هي اعتقاد ما ورد في الفقرات السبع السابقة فإنها منهجنا .

منهجنا في الدعوة إلى السلفية.

أما منهجنا في الدعوة إلى السلفية بالتصور السابق فيعتمد :

أولاً: المنهج الذي قرره القرآن (في مواضع عديدة ربما تصل إلى ثلاثمائة موضع أو تزيد) في الحكم على الآراء والأشياء والأشخاص حيث يوجب هذا المنهج أن يعتمد الحكم في ذلك على :

١. العلم بأن يبذل الإنسان ما في وسعه ليصل إلى الحقيقة.

٢. والموضوعية وعدم التحيز .

ثانياً: الانفتاح وعدم الانغلاق تجاه الآخر .

ثالثاً: عدم التعصب، ومقابلة الرأي المخالف بمثل ما عبر عنه أحد السلف (الإمام الشافعي في القرن الثاني الهجري) حيث يقول لمن ينازعه الرأي « رأيي صواب يحتمل الخطأ ورأيك خطأ يحتمل الصواب » .

رابعاً: البعد عن الدخول في أي نزاع أو شقاق أو مهاترة وبالرغم من أننا نهاجم في بعض الأحيان من قبل آخرين فإننا دائماً نتفادى الرد بمهاجمة الآخرين .

خامساً: الاهتمام ـ في الدرجة الأولى ـ بالتعليم والتوعية ورفع الجهل بالإسلام، وتقديم الحقائق مقابل الصور الزائفة .

لقد كان نتيجة اتباعنا هذا المنهج هو قبولنا لدى الجالية الإسلامية على اختلاف خلفياتهم الثقافية ، ومذاهبهم التي ينتمون إليها ، والبلدان التي قدموا منها ، وقد يسر هذا معرفة الجميع أننا

لسنا نتاج حركة مذهبية، أو حزب سياسي، أو جماعة متميزة . أو منفذين لسياسة حكومة معينة أو أوامرها .

الأصولية:

وأما الأصولية: فنقول إن مصطلح الأصولية نشأ في بيئة خاصة في ظل ظروف معينة ولذلك فإن نقل هذا الاصطلاح إلى نظام يعيش في بيئة مختلفة تحكمها ظروف مختلفة، خليق بأن يؤدي إلى تشويش، واضطراب في الرؤية، بل وإلى تضليل، ومن هنا نعرف أن مصطلح الأصولية وجد نسبة إلى الكتيبات التي ظهرت في الولايات المتحدة الأمريكية في العقد الثاني من القرن المنصرم تحت عنوان FUNDAMENTALS وأنها نشأت أصلا من الحركة الألفية في القرن التاسع عشر، وكانت تمثل رد فعل عنيف للنقد العلمي الذي وجه لـ (Bible) وترى هذه الأصولية تفسير نصوص الكتاب المقدس حسب ظاهرها، وأن كل ما تضمنته هو عين الحقيقة ولو خالف الحقائق العلمية المكتشفة أو المنطق العقلي، وكل ما تضمنته هو كلمة اللّه .

قُرنت الأصولية في كثير من الأحيان بالتعصب والعدوانية والاستعداد لاستعمال العنف، فأصبح هذا الاصطلاح يعطي كل هذه الإيحاءات ولذلك فإننا نرفض تسمية الإسلام بالإسلام الأصولي، لاننكر أنه يوجد بين المسلمين متطرفون أو متشددون كما هو الشأن في جميع الديانات، ولكن التطرف والغلو مناقض لسمة الإسلام الأساسية (الوسطية والاعتدال) كما أشير إلى ذلك في المقدمة .

بالإضافة إلى ذلك فإنه لم يوجد حتى الآن كشف علمي يناقض نصاً في القرآن .

في الماضي أثيرت شكوك حول موثوقية القرآن من قبل المستشرقين ولكن كلما تقدم الزمن تضاءلت هذه الشكوك وصار المستشرقون أقرب إلى التسليم بموثوقية القرآن .

وفي الماضي اتهمت بعض الجماعات في العالم الإسلامي بأن لديهم أفكاراً أو أقوالاً تمس بموثوقية القرآن ولكن في العصر الحاضر فإنه لا أحد من المسلمين يجرؤ على قول بأن في القرآن نقصاً أو زيادة أو تعديلاً عما كان عليه عند موت الرسول ﷺ، وحتى الشيعة الآن ينكرون اتهامهم بذلك.

بعبارة أخرى لا يوجد شخص يدَّعي أو يُدَّعَى له أنه مسلم وفي الوقت نفسه يصرح بشكه في موثوقية القرآن ، وعلى هذا الأساس حكمت المحكمة العليا في مصر على نصر أبو زيد بالردة والأمر مختلف بالنسبة لـ (**Bible**) أنه يمكن بالنسبة لـ (Bible) أن يدعي شخص أنه مسيحي أو يهودي وفي الوقت نفسه يصرح بأن جزأ من الكتاب المقدس (Bible) من عمل البشر، أو حتى أن الأنبياء المذكورين بما فيهم إبراهيم وموسى ليسوا شخصيات تاريخية .

معنى ما تقدم إنه إما أن يكون المسلمون كلهم أصوليين بالمعنى القاموسي للاصطلاح (FUNDAMENTALS) أو أن لا يكون الإسلام أصولياً !

قبل وفاة Grace Halsell عام (٢٠٠٠ م) كتبت كتابها Forcing God's Hand كان هذا الكتاب الوثائقي عن الأصولية النامية بسرعة في الولايات المتحدة الأمريكية .

وجاء في هذا الكتاب (p.19) أن جامعة أكرون أجرت في عام ١٩٩٦م مسحاً عن الدين والسياسة، أظهر هذا المسح أن ٣١ ٪ من سكان الولايات المتحدة الأمريكية المسيحيين يؤمنون أو يؤمنون بقوة بحرب أرمجدون وهذه الحرب حسب النبوءات ستقع في الشرق الأوسط حيث يقتل فيها مائتا مليون من الكفار ويرتفع فيها سيل الدماء حتى يبلغ أعنة الخيل لمسافة تمتد من القدس إلى ٢٠٠ ميل (Ibid p.21).

وقد توقع الرئيس الأمريكي ريجان أن تكون الحرب في الجيل الذي يعيش فيه، وعبر عن تشوفه بأن تكون في فترة رئاسته. (حديثه في عام ١٩٨٠ إلى جيم باركر، وفي (ص ٢١) حديثه عام ١٩٨٣م إلى Tom Dine أحد أعضاء لجنة الشؤون العامة الإسرائيلية الأمريكية (Ibid p.17).

وانظر أيضاً في خطاب الرئيس كلنتون ـ أكتوبر ١٩٩٥م ـ أمام الكنيست في إسرائيل حيث قال : (إن إرادة الله قضت بأن تكون إسرائيل كما هي في العهد القديم من النيل إلى الفرات لشعب إسرائيل إلى الأبد وأن إرادة الله يجب أن تكون إرادتنا) .

أما الرئيس بوش فقد كرر التصريح بأنه قبل إصدار قراراته يستشير أباه الذي في السماء .

إن الأصولية خطر على الحرية والسلام في العالم كلما ادعت أنها بقتلها الآلاف من الأبرياء كانت تنفذ إرادة الله سواء ظهرت هذه الأصولية تحت اسم رئيس القاعدة أو اسم رئيس دولة تملك من أسلحة

الدمار الشامل ما يكفي لتدمير سبعة عشر كوكباً مثل كوكبنا الأرضي .

كل الأصوليات خطر على عقولنا ومواهبنا وأرواحنا وإيماننا وإنسانيتنا وفي ذلك تستوي كما قال غارودي ـــ أصوليات التكنوقراطية والستالينية والمسيحية واليهودية والإسلامية وحتى العلمانية .

لكل ما سبق نسلم بأنه قد يوجد بين المسلمين متشددون أو متطرفون، ولكننا نتحفظ بشدة على وصف الإسلام بالأصولي، لاسيما وأننا حينما نقارن بين من يَصفون الإسلام بالأصولي نراهم لا يتفقون في هذا الوصف على مفهوم واحد بل يعنى كل منهم لوناً في طيف عريض من الألوان و التفسيرات المختلفة بل والمتناقضة للإسلام.

وجهة نظرنا نحو غير المسلمين

وللإجابة عن السؤال ما هي وجهة نظرنا نحو غير المسلمين ؟

نقول إن وجهة نظرنا هي وجهة نظر الإسلام وهي في رأينا تتلخص في الآتي:

العدل المطلق وليس النسبي أو المزدوج هو الحد الأدنى الذي ينظم علاقة المسلم بغير المسلم سواء كان غير المسلم محارباً أو مسالماً، عدواً أو صديقاً قريباً أو بعيداً .

فإذا كان غير المسلم في حالة حرب معلنة ضد دولة إسلامية، فيبقى العدل هو أساس معاملة المسلم له فلا يجوز للمسلم ظلمه، قَالَ تَعَالَى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُونُواْ قَوَّٰمِينَ لِلَّهِ شُهَدَآءَ بِٱلۡقِسۡطِۖ وَلَا

يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَـَٔانُ قَوْمٍ عَلَىٰٓ أَلَّا تَعْدِلُوا۟ ۚ ٱعْدِلُوا۟ هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ ﴾

(المائدة: ٨).

قال المفسرون معنى الآية : لا تحملكم عداوة وبغض قوم يقاتلونكم بسبب دينكم أن تظلموهم، ويشهد لهذا المعنى الآية الأخرى: قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَـَٔانُ قَوْمٍ أَن صَدُّوكُمْ عَنِ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ أَن تَعْتَدُوا۟ ﴾ (المائدة: ٢) أي لا تحملكم عداوة هؤلاء القوم الذين قاتلوكم وأخرجوكم من دياركم وصدوكم عن المسجد الحرام، أن تظلموهم بل التزموا العدل في معاملتهم، قال المفسر ابن كثير: العدل مطلوب من كل أحد لكل أحد في كل حال .

وإذا كان العدل يسمح بالمعاملة بالمثل فإن هذا المعيار في الإسلام محدد ومقيد بالالتزام بما توجبه الأخلاق النبيلة، وبالقيود الشرعية، فكما يقول المفسر الكبير القرطبي إذا مثل أعداؤنا بقتلانا فلا يجوز لنا التمثيل بقتلاهم لأن النبي صلى الله عليه وسلم نهى عن المُثلة، وإذا قتلوا نساءنا وأطفالنا وغير المقاتلين منا فلا يجوز لنا أن نقتل نساءهم وأطفالهم وغير المقاتلين منهم .

على أنه بالنسبة لهؤلاء المحاربين لا يجوز للمسلم موالاتهم المتضمنة نصرهم على المسلمين، قال تعالى: ﴿ إِنَّمَا يَنْهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ قَـٰتَلُوكُمْ فِى ٱلدِّينِ وَأَخْرَجُوكُم مِّن دِيَـٰرِكُمْ وَظَـٰهَرُوا۟ عَلَىٰٓ إِخْرَاجِكُمْ أَن تَوَلَّوْهُمْ ۚ وَمَن يَتَوَلَّهُمْ فَأُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّـٰلِمُونَ ﴾ (٩ سورة الممتحنة) .

أما بالنسبة للمسالم فحقه على المسلم مع العدلِ البرُّ والإحسانُ ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُ بِٱلۡعَدۡلِ وَٱلۡإِحۡسَٰنِ ﴾ (٩٠ سورة النحل)، ﴿ لَّا يَنۡهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ لَمۡ يُقَٰتِلُوكُمۡ فِي ٱلدِّينِ وَلَمۡ يُخۡرِجُوكُم مِّن دِيَٰرِكُمۡ أَن تَبَرُّوهُمۡ وَتُقۡسِطُوٓاْ إِلَيۡهِمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلۡمُقۡسِطِينَ ﴾ (٨ سورة الممتحنة) . فإن كان مواطناً فله على الدولة حق حماية نفسه وماله وحريته، وحق الكفالة الاجتماعية مثل ما للمسلم والمساواة مع المسلم أمام القضاء، ويستثنى غير المسلم من تطبيق القانون الجزائي الإسلامي بالنسبة للأفعال التي لا يعتقد تحريمها في دينه، وقد ظل المسلمون طوال القرون يتركون للأقليات غير المسلمة إصدار قوانينهم الخاصة وتطبيقها والتقاضي أمام محاكمهم الخاصة التي ينشئونها هم . واستمر هذا التقليد حتى عصر العثمانيين .

وكان المسلمون في هذا يتبعون سيرة نبيهم، فبعد هجرته إلى المدينة تكونت دولة المدينة برئاسته ، وكان في تكوين هذه الدولة يوجد إلى جانب المسلمين بعض الوثنيين وقبائل من اليهود. وبالرغم من أن هؤلاء كانوا يؤذونه ويؤذون المسلمين بالكلام، ويوجهون إليه وإليهم وإلى الدين الإهانات والاحتقار كما اخبر بذلك القرآن في عدة مواضع مثل قوله تعالى ﴿ وَإِذَا نَادَيۡتُمۡ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ ٱتَّخَذُوهَا هُزُوٗا وَلَعِبٗاۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمۡ قَوۡمٞ لَّا يَعۡقِلُونَ ﴾ (٥٨: المائدة) ، إلا أنه مع ذلك لم يكن يلجأ لعقابهم طاعة لأمر الله . ﴿ وَلَتَسۡمَعُنَّ مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ مِن قَبۡلِكُمۡ وَمِنَ ٱلَّذِينَ أَشۡرَكُوٓاْ أَذٗى كَثِيرٗاۚ وَإِن تَصۡبِرُواْ وَتَتَّقُواْ فَإِنَّ ذَٰلِكَ مِنۡ عَزۡمِ ٱلۡأُمُورِ ﴾ (١٨٦ سورة آل عمران)، ﴿ وَلَا تَزَالُ تَطَّلِعُ عَلَىٰ

﴿خَآئِنَةٍ مِّنْهُمْ﴾ أي اليهود ﴿فَٱعْفُ عَنْهُمْ وَٱصْفَحْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ (١٣ سورة المائدة).

ولم يعاملهم بالعنف إلى أن حولوا هم الأذى من القول إلى الأذى بالفعل فاتخذ ضدهم الإجراءات العقابية المعروفة في السيرة .

من النادر أن نجد حتى في الوقت الحاضر دولة تتسامح تجاه حرية القول لدى الأقلية المخالفة لها في الدين والثقافة إلى هذه الدرجة من التسامح .

إذا كان غير المسلم أباً أو أماً أو زوجة أو قريباً أو جاراً فإن له حقوقاً مثلما للمسلمين، قال تعالى : ﴿وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُۥ وَهْنًا عَلَىٰ وَهْنٍ وَفِصَٰلُهُۥ فِى عَامَيْنِ أَنِ ٱشْكُرْ لِى وَلِوَٰلِدَيْكَ إِلَىَّ ٱلْمَصِيرُ ﴿١٤﴾ وَإِن جَٰهَدَاكَ عَلَىٰٓ أَن تُشْرِكَ بِى مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا ۖ وَصَاحِبْهُمَا فِى ٱلدُّنْيَا مَعْرُوفًا ۖ﴾ (١٤ ـ ١٥ سورة لقمان)، ﴿وَٱلْمُحْصَنَٰتُ مِنَ ٱلْمُؤْمِنَٰتِ وَٱلْمُحْصَنَٰتُ مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِكُمْ﴾ (٥ سورة المائدة)، ﴿وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلْأَرْحَامَ ۚ﴾ (١ سورة النساء)، ﴿وَٱلْجَارِ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْجَارِ ٱلْجُنُبِ وَٱلصَّاحِبِ بِٱلْجَنۢبِ﴾ (٣٦ : النساء).

الخـــلاصة :

خلاصة وجهة النظـر نحـو غــيـر الـمسلمين

في الإجابة على السؤال ما هي وجهة نظركم نحو غير المسلمين ؟ نقول أنه لا خيار لنا في معاملتهم إلا اتباع المنهج المشار إليه آنفاً، وهو المنهج الذي توجبه نصوص القرآن الصريحة وتوجبه أحاديث الرسول ﷺ الصحيحة كما تهدي إليه سيرة الخلفاء الراشدين .

على أن مما يجب التنويه به أن المسلمين على اختلاف العصور وقع اختلافهم في كثير من المسائل ولكنهم ظلوا متفقين على المنهج المشار إليه في تعاملهم مع غير المسلمين ولا نعرف أن أحداً من فقهائهم وعلمائهم شذ عن هذا المنهج إذ أنه منهج مقرر كما ذكرنا بنصوص القرآن والصحيح من الأحاديث .

إنه نتيجة لهذا المنهج الإنساني الإسلامي في علاقة المسلم بغير المسلم في كل العصور إلا ما شذ، تعبد الطريق في ظل الدول الإسلامية في الماضي إلى الانسجام بين المجتمعات وإلى درجة متفاوتة من الاندماج.

وقد ردد المؤرخون الغربيون إشادتهم بالاندماج بين الأغلبية والأقليات، وبين الأقليات المختلفة فيما بينها في أسبانيا وقت حكم المسلمين واعتبروا تلك التجربة الفريدة نقطة مشرقة في التاريخ الإنساني.

إذا كان المسلمون ــ في القرون الوسطى ــ وهم الأغلبية الحاكمة يتعاملون مع الأقلية غير المسلمة المحكومة بالمستوى الذي وصفناه من التسامح فما الذي يبرر أن يظن الإنسان في عصر التنوير

والعقلانية أن الأقلية المسلمة المحكومة سوف تعجز عن النظر إلى الأغلبية بتسامح ومشاعر إيجابية .

التجربة التاريخية الإسلامية تثبت أن الاندماج الإيجابي في مجتمع متعدد الثقافات والأعراق شرط لازدهار الحرية، ورسوخ السلام الاجتماعي، وأن الاندماج الإيجابي لا يتحقق إلا بالوصفة الناجحة التي صرح بها القرآن أعني "التعارف" : ﴿ وَجَعَلْنَٰكُمْ شُعُوبًا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓاْ ﴾ (١٣سورة الحجرات) فالجهل والتعصب هما عدوا الاندماج.

قيدنا الاندماج بالوصف الإيجابي للتنبيه إلى أن الاندماج السلبي، الذي يفقد فيه المجتمع تنوعه الثقافي، إن أمكن بعد وقت طويل وبعد معاناة إنسانية فادحة . فإنه خسارة وليس ربحاً، لأن من المحتمل جداً أن يجلب للمجتمع الجمود والتخشب والعقم، الاندماج السلبي يعني أن تذوب الثقافات المتنوعة في ثقافة واحدة .

لقد قدمت لنا أسبانيا تجربة، بعد سقوط حكم المسلمين في الأندلس ذابت الثقافة الإسلامية في الثقافة الكاثوليكية بعد مرور قرون من المعاناة الإنسانية تحت ظل محاكم التفتيش، واستحقت أسبانيا بعد ذلك أن يصفها دوماس الأب بالساعة الواقفة.

في حالة الأقلية الإسلامية خاصة فإن ذوبان ثقافتها في ثقافة الأغلبية الأوروبية لا يقتصر على تدمير مجتمع الأقلية الإسلامية وحدها، بل يمتد بالضرر إلى المجتمع الكبير كله .

إن المسلم حين يفقد دينه فإنه ولأجيال عدة لن يستطيع أن يعوضه بدين آخر، وذلك يعني انهيار الأساس الخلقي لديه، ولنا أن نُقيّم شخصاً بدون أساس خلقي ونتنبأ بصورة سلوكه .

لعل من المناسب أن فكرة وجود مؤسسة الوقف في أوروبا نشأت إثر ما لاحظ بعض المؤسسين للمؤسسة، النسبة غير المريحة لعدد المساجين من المسلمين في السجون الأوروبية، ممن هم من الجيل الثاني والثالث فقد وجدوا، أن السبب في ذلك ضعف الأساس الخلقي لدى هؤلاء الناشئين عن انشغال آبائهم عن تربيتهم والعناية بتكوينهم الخلقي الأمر الذي نشأ عنه ضعف هويتهم الثقافية .

في مجتمع يقبل التعددية، ويرى أن التنوع الثقافي مصدر خصب وإثراء للإنسانية تكون مسؤولية تحقيق الاندماج الإيجابي فيه على الجانبين .

وفي حالة الأقليات الإسلامية في أوروبا وأمريكا تكون المسؤولية على البلاد المضيفة أكبر للأسباب الآتية :

قبل انهيار الإتحاد السوفيتي وخلال مائة سنة سابقة كانت الأقليات الإسلامية في العالم الحر تتمتع بالحرية وبقدر كبير من الأمان، وبنظرة مطمئنة إلى المستقبل، ولم تكن المجتمعات المضيفة تشعر نحو هذه الأقليات بمشاعر القلق أو الخوف أو العدائية، ربما كانت تشعر تجاهها بالتعالي الذي قد يبرره الواقع، كما كانت الصورة النمطية للمسلم في نظر الأوروبي والأمريكي غير مشرقة، ربما بسبب الرواسب الثقافية التي كان يغذيها الإعلام، على سبيل

المثال في الاستطلاع الذي أجري عن هذه الصورة النمطية في الولايات المتحدة الأمريكية عام ١٩٨٠ م كانت نتيجة الاستطلاع أن من أجابوا عنه يرون أنَّ المسلم أو العربي بربري وقاسي ٤٤٪، خداع ولا يوثق به ٤٩٪، متعطش للدم ٥٠٪، مضطهد للمرأة ٥١٪، معاد للمسيحية ٥٠٪.

كانت المشاعر نحو المسلمين في العالم الحر حقاً سلبية، ولكنها لم تكن عدائية إلى درجة الخوف المتبادل (الفوبيا). ولقد تغير الوضع كثيراً بعد انهيار الإتحاد السوفييتي .

أظهرت نتائج الاستطلاع الذي نشرته "وول ستريت جورنال" الأوروبية في ١٠ ديسمبر ٢٠٠٤ م أن الذين يرفضون وجود المسلمين في أوروبا الغربية حوالي ٥٠٪ من الأوروبيين، وبلغت هذه النسبة ٧٥٪ في السويد المشهورة بالتسامح تجاه التعددية، وبسجلها الناصع في احترام الحريات وحقوق الإنسان . وبعد أسابيع من هذا الاستطلاع، أظهر استطلاع أجرته جامعة "بيركلي" في الولايات المتحدة أن حوالي نصف الشعب الأمريكي يؤيدون تقييد الحقوق المدنية للمسلمين في أمريكا.

بالطبع لم يكن كل ذلك نتيجة لأن الأقليات المسلمة في أوروبا وأمريكا تختلف في التكوين أو السلوك الاجتماعي عن غيرها من الأقليات الآسيوية أو الأفريقية .

ربما كان للرواسب الثقافية تأثير، ولكن لم تكن هذه الرواسب الثقافية كل السبب ..

وليس كل السبب أيضاً أنه نسب لبعض المسلمين نشاط إرهابي، لأن عدد ما ثبت بالإجراءات القانونية ارتكابه من قبل مسلمين، بل ما ادعي ارتكابه من قبل أشخاص مسلمين وإن لم يثبت، نسبته قليلة بالقياس إلى عدد ما ارتكبه غيرهم من أنشطة إرهابية لا سيما في حالة الجيش الأيرلندي ضد المملكة المتحدة، أو حالة الباسك ضد اسبانيا. ولم تكن تلك الحالات الأخيرة لتحمل بريطانيا أو اسبانيا على تعديل أو التفكير في تعديل إجراءات العدالة، وعلى كل حال فلم تواجه السويد حوادث إرهابية نسبت إلى المسلمين.

ربما كان التفسير المعقول لهذا التغيير الدراماتيكي لنظرة الأوروبي أو الأمريكي للأقلية المسلمة، هو ما عبرت عنه تقارير U.E.M.C المنشورة في ٢٣ مايو ٢٠٠٢ م من أن العامل المهم وراء الاعتداءات التي تعرض لها أشخاص مسلمون أو مؤسسات إسلامية في السويد والمملكة المتحدة اثر حادث ١١ سبتمبر الإجرامي، هو التغطية اللامسؤولة للإعلام في السويد والمملكة المتحدة .

في الحقيقة أنه ليست الحوادث الإجرامية الشنيعة في الولايات المتحدة أو أسبانيا هي التي دفعت الإعلام في أوروبا وأمريكا للخطاب السلبي تجاه المسلمين، بل إن الإعلام استغل تلك الحوادث استغلالاً من شأنه التأثير على الرأي العام بالصورة التي شاهدناها .

إن مسؤولية الأقليات الإسلامية ومسؤولية المجتمعات المضيفة في أوروبا وأمريكا مسؤولية مشتركة في العمل الجاد على إزالة كل العوائق في طريق الاندماج الإيجابي بين الأقلية والبلد المضيف .

إنَّ الشرط الأساسي لتحقيق ذلك أن يتخذ الاندماج الإيجابي هدفاً وغاية وليس مجرد مبرر في خطاب السياسيين أو الإعلاميين، وبدون هذا ستلقي علينا الأجيال اللاحقة اللوم بحق، ولن يعذرنا التاريخ .

السؤال الثاني :

ماذا تقولون للمسلمين عندما يسألونكم كيف تتعايشون مع المجتمع الغربي، وما هو موقفكم من الرؤية التي تستبعد كل قانون يعارض القوانين الإسلامية ؟

كيفية التعايش مع المجتمع الغربي.

الجواب :

ليس نادراً أن تجد شخصاً يرى أنَّ مصلحته في مخالفة القانون، ثم لا يتردد في مخالفته إذا اطمأن إلى أنَّ مخالفته لن تكتشف من قبل الجهة المشرفة على تنفيذ القانون، وذلك دون أن يشعر بتأنيب الضمير، فأما المسلم فحتى لو اطمأن إلى أنَّ مخالفته لن تكشف فإنه إذا كان مسلماً ملتزماً لن يطمئن إلى أنه لم يرتكب ذنباً يعاقبه الله عليه، ولهذا فكثيراً ما توجه للعلماء الذين يحضرون ملتقيات مؤسسة الوقف مثل هذا السؤال : هل يجوز أن أدعي كاذباً أني طلقت زوجتي لكي تحصل العائلة على نصيب أكبر من التأمين الاجتماعي ؟

فيجيبه العالم إنك لو فعلت ذلك تكون قد ارتكبت حراماً تعاقب عليه ، لأنك كذبت وارتكبت غشاً نحو القانون، وارتكبت الخيانة وأخللت بالتزامك لأنك عندما دخلت البلاد التزمت بعدم مخالفة القانون، وأكلت المال بالباطل، وكل هذه معاصٍ وذنوب تعاقب عليها إن ارتكبتها .

إنَّ من يراجع أعمال الملتقيات سوف يجد هذا واقعاً، ولعل هذا كافٍ في إجابة السؤال .

وكما قدمنا إذا كان المسلمون في بلادهم وفي مختلف العصور تعايشوا مع المجتمعات الأخرى في انسجام وتوافق، فلا نرى محلاً لافتراض أنَّ المسلمين وهم أقلية في الغرب يمكن أن يعجزوا عن التعايش مع المجتمع الغربي في انسجام وتوافق . إنَّ الدول الغربية وقد قبلت المسلمين ضيوفاً عليها ممن قدموا إما لغرض الكسب من العمل أو للفرار من الظلم والاضطهاد الذي واجههم في بلادهم، هي في مقام المحسن إليهم وهم يقرؤون في القرآن : (وهل جزاء الإحسان إلا الإحسان) ويأتمرون بأمر نبيهم: (من صنع إليكم معروفاً فكافئوه فإن لم تجدوا ما تكافئونه فادعوا له حتى ترون أنكم كافأتموه) [(١)].

إن المسلم إذا كان ملتزماً بإسلامه فسيمتنع عن الظلم في القول والعمل، والخيانة والكذب، لأنه يعلم أن هذه كلها معاصٍ يعاقبه الله عليها.

---

(١) رواه أحمد وصححه الألباني .

أما عن الشطر الثاني من السؤال وهو السؤال عن موقفنا من الرؤية التي تستبعد كل قانون يعارض القوانين الإسلامية، فالجواب عليه:

إنه منذ إلغاء محاكم التفتيش عام ١٨٣٤م وحتى صدور القانون الفرنسي بمنع تغطية المسلمة رأسها في المدارس وإمكانية منعها من ذلك في أماكن العمل، ما كان أحد يتصور أن أي جالية مسلمة في أي بلد أوروبي سوف تواجه مشكلة في التعامل مع قانون البلد المضيف للأسباب الآتية :

١ / إن المبدأ الإسلامي كما يعبر عنه الفقيه السلفي ابن القيم - في القرن الثامن الهجري - (حيث يوجد العدل والمصلحة فثم شرع اللّه)، يعني هذا التعبير أن القانون عندما يحقق العدل ويهدف للمصلحة العامة فيعتبر قانوناً إسلامياً، ولما كانت القوانين في الغالب (باستثناء قوانين الدول الشمولية أو الفاسدة) تهدف إلى تحقيق العدل والمصلحة، فستكون الحالات التي يعتبر فيها المسلم القانون العلماني قانوناً معارضاً للشريعة الإسلامية حالات قليلة، أو هي نادرة نسبياً ، وهذا في حدّ ذاته يقلل من احتمال أن يجد المسلم نفسه في حرج إذا خضع لقانون صادر من دولة علمانية.

قبل خمسين سنة وضع فقيه فرنسي القانون المدني المغربي Code Civile واقتبسه من القوانين الأوروبية، وكان من السهل أن تؤيد كل مواده تقريباً اقتباسات من نصوص الكتب الفقهية في

المذهب المالكي (المذهب الفقهي الإسلامي الشائع في المغرب) . نشرت هذه النصوص مع الـ Code Civile .

٢ / المسلم حتى لو كان يعارض العلمانية في بلده ذات الأغلبية المسلمة، فإنه في العادة يقبلها في البلاد التي يكون فيها فرداً من الأقلية، على سبيل المثال يؤيد المسلمون في الهند العلمانية ويناصرونها، السبب واضح : أنها تحمي حقوقهم وحرياتهم بما فيها الحرية الدينية أكثر مما تحمى في ظل حكومة أصولية تنتهك المبادئ العلمانية؛ كما عانى المسلمون من الحكومة الهندية السابقة ذات الاتجاه المتطرف في جانب الثقافة الزعفرانية والديانة الهندوكية .

فالأقلية المسلمة من مصلحتها في هذه الحالة أن تكون تحت حكم علماني لا سيما إذا كان علمانياً بالمعنى الصحيح والمفهوم السائد في الولايات المتحدة وفي أوروبا الغربية قبل انهيار الاتحاد السوفييتي .

٣ / القانون المعارض للإسلام إما أن يبيح أموراً يحرمها الإسلام كبعض صور الربا أو الزنا أو القمار، أو أن يحرم أموراً يجيزها الإسلام كتعدد الزوجات .

وفي كلا الحالين لن تواجه المسلم مشكلة في التعايش مع القانون، لأن القوانين حين تبيح بعض الأفعال كبعض صور الربا والزنا فإنَّ هذا لا يمنع المسلم التقي من أن يترك هذه الأفعال اختياراً، لأن القانون وإن أباحها فهو لا يفرضها .

وحين يحرم القانون العلماني أمراً مباحاً في الشرع فهذا أيضاً لا يشكل حرجاً للمسلم، إذ يمكن أن يمتنع عن الفعل المحرَّم قانوناً، اختياراً بإرادته الحرة .

وللمرء أن يتساءل: (في السنوات العشر الأخيرة مثلاً، هل سبق أن أدين مسلم أمام محكمة أوروبية بجريمة تعدد الزوجات ؟، إذا كان الجواب ـ كما هو محتمل ـ لا توجد حالة واحدة أو توجد حالات نادرة لا يبنى عليها حكم عام، فهذا شاهد من الواقع يصدّق ما قلنا) .

وهكذا فإنَّ المسلم في حالتي التحريم والإباحة حين يخضع للقانون لا يشعر بما يؤذي ضميره الخلقي أو اعتقاده الديني.

وإذا لم يكن هناك سبب ديني ولا عملي لأن يواجه المسلم في الأقليات المسلمة في أوروبا مشكلة من جراء خضوعه للقانون في الدولة المضيفة، فهل يوجد سبب عاطفي يجعل من المحتمل أن يشعر المسلم بشعور سلبي تجاه قانون الدولة المضيفة ؟ والجواب أن هذا المسلم إذا كان على درجة من التعليم كافية فلن يكون لديه مثل هذا الشعور، وفي الأوقات والأماكن التي كان المسلمون فيها أغلبية حاكمة تعايشت معهم الأقليات غير المسلمة دون حرج، إذ تركوا لتلك الأقليات الحرية في وضع قوانينهم والتحاكم لقضاتهم، بل استثنوهم من الخضوع للقانون الجنائي الإسلامي العام بالنسبة للأفعال التي لا تجرمها أديان الأقليات، كما أعفوهم من الواجبات المفروضة على المسلم ذات الصلة بالدين

كدفع الزكاة ملتزمين بمضمون الآية الكريمة: ﴿ لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ ﴾ (٦ سورة الكافرون)، ﴿ لَآ إِكْرَاهَ فِي ٱلدِّينِ ﴾ (٢٥٦ سورة البقرة) .

٤ /لا شك أن قانون الدولة المضيفة لو حرم فعلاً يراه المسلم واجباً في الإسلام، أو أوجب على المسلم فعلاً يراه المسلم محرَّماً في الإسلام، فإن الوضع في هذه الحالة سيكون مختلفاً .

وبالتأكيد سيشعر المسلمون ـ في هذه الحالة ـ بأن حريتهم الدينية قد انتهكت .

يجب أن نعترف أنَّ هذه السابقة PRECEDENT الفرنسية أوجدت لدى الأقليات المسلمة في أوروبا شعوراً بأن حريتهم وأمنهم قد لا يكون لهما في المستقبل الضمان الذي كان لهما في الماضي، أوجدت لدى بعض المسلمين الشعور بأنهم يواجهون أزمة.

لم ينظروا إلى السابقة الفرنسية كقضية معينة بذاتها، صدرت من دولة واحدة كانوا يتساءلون ماذا لو سرت العدوى الفرنسية إلى باقي دول أوروبا ؟ بل ماذا لو تجاوز الأمر قضية الحجاب إلى قضايا أخرى من تحريم ما يعتقدونه التزاماً دينياً، أو إلى إلزامهم بما يعتقدونه محرماً دينياً .

لقد عززت هذه المخاوف الاتجاه الانقلابي بالنسبة لإجراءات العدالة في الولايات المتحدة، بإجراءات (الأدلة السرية) و(الجريمة بالارتباط Guilty by Association) في عهد الرئيس الأمريكي كلينتون، ثم صدور قانون (الوطني) في عهد الرئيس بوش الابن، وإن الانطباع لدى المسلمين والليبراليين من غير المسلمين في الولايات المتحدة

أنَّ هذه القوانين طبقت في الغالب أو ربما في ما عدا النادر على أفراد مسلمين أو مؤسسات إسلامية .

كما تعززت هذه المخاوف بعد أن أحسَّ المسلمون في أوروبا بأنَّ هذه الإجراءات الأمريكية والفرنسية كان لها صدى لدى الإعلام الأوروبي ولدى بعض السياسيين الأوروبيين .

كان بعض المسلمين ينظرون إلى السابقة الفرنسية في ضوء ما كشفت عنه أطروحة للدكتوراة في العلوم السياسية تقدمت بها الدكتورة Katherine Bullock عن الحجاب والسياسة لجامعة تورنتو بكندا ، وقد نشرت هذه الأطروحة عام ٢٠٠٣ م في كتاب يحمل عنوان Rethinking Muslim Women and the Veil، وربما يعتبر هذا الكتاب أدق وأعمق وأشمل بحث علمي في موضوع الحجاب نشر حتى الآن .

بعض المسلمين رأوا أنَّ ربط السياسة بالدين على النحو الذي تم بالنسبة للحجاب في فرنسا يمثل تهديداً للسياسة والدين معاً ، بل رأوا أنه نذير بانتكاسة في مسيرة التقدم الإنساني والمكاسب الإنسانية فيما يتصل بالقيم الكونية .

أما نحن فإننا من فريق المتفائلين الذين يرون أنه مهما حدث من إخفاقات في مسيرة القيم الحضارية فإنَّ الإيمان بكرامة الإنسان يوجب أن نستشعر أنَّ التقدم الإنساني سيظل على وتيرته ، ولن ترجع الإنسانية إلى الوراء وبين عينيها هذه الحصيلة التاريخية الضخمة من تجارب الإنسان.

خلاصة الجواب :

إننا نرى أنَّ المسلمين في الغرب - في الماضي - لم يشعروا بأي حرج أو حساسية ضد القوانين المحلية. ولا نرى مبرراً للخوف من أن يتغير هذا الشعور في المستقبل ونرى أن أي تخوف من جانب المسلمين أو من الجانب الآخر مستند إلى التعارض بين القانون وأحكام الإسلام هو تخوف من قبيل (الفوبيا) لا يستند لأي مبرر موضوعي ولا يصمد أمام المحاكمة العقلانية .

السؤال الثالث:

ما هو مفهومكم للتّشدد والتطرف، وهل تواجهون أفراداً متشددين في مؤسستكم، وكيف تتعاملون معهم ؟؟

الجواب :

مفهوم التشدد لدى مؤسسة الوقف

نقول إن ما ورد في المقدمة عن وسطية الإسلام واعتداله، ورفضه للغلو والتطرف، وكذلك ما سبق أن ذكرناه في الإجابة عن الأصولية يكفي في رأينا لإيضاح مفهومنا عن التشدد والتطرف. ولزيادة الإيضاح نقول إننا لا نرى أنَّ سعي المسلم لتحقيق التقوى وهي درجة عالية من الحساسية الخلقية وأن من مضامينها شعور الإنسان بوجود الله معه وأنه يعلم سره وعلانيته وأنه سوف يحاسبه على عمله إن خيراً فخير، وإن شراً فشر، لا نرى هذا تشدداً أو تطرفاً، كما لا نرى تشدداً أن يلتزم المسلم بواجبات دينه كالصلاة والصوم والزكاة

ولا بالآداب الاجتماعية التي أمره بها دينه، كالعفة للرجل والمرأة و تغطية الرأس للمرأة .

ولا نرى تشدداً أن يسعى المسلم لتعليم إخوانه المسلمين أمور دينهم، ويوضح لهم حقائقه، ويميز لهم بين ما هو من حقيقة الدين، وما هو طارئ عليه من العادات والتقاليد .

وبالعكس نرى التشدد والتطرف، في أن يدعي الإنسان أنه يملك وحده الحقيقة النهائية، وأسوأ من ذلك أن يحاول فرض ما يراه على غيره.

نرى من التشدد والتطرف دعوى الإنسان أن التطور الإيجابي للعالم لا يسير إلاّ وفق تجارب ثقافة واحدة معينة .

نرى أن التعددية الثقافية مصدر خصب وثراء للبشرية، ونرى أن حماية مكتسبات الإنسان من القيم الكونية مسؤولية كل فرد، وإن هذه القيم ضمان ليس فقط لبقاء البشرية، بل لتقدمها وازدهارها .

كيف تواجهون أفراداً متشددين.

وعن الشطر الثاني من السؤال: كيف تواجهون أفراداً متشددين في مؤسستكم وكيف تتعاملون معهم ؟

كما قدمنا، التشدد موجود دائماً في كل زمان ومكان، بل إنه مع الأسف قريب من طبيعة الإنسان، لا سيما إذا لم تروض بتربية الوسطية والاعتدال، والتطرف ينبعث في كثير من الأحيان عن عجز الإنسان عن النظر إلى الحقيقة من مختلف الزوايا، فالشمولية والتوازن

في النظر إلى الآراء أو الأشخاص أو الأشياء لا ينموان إلا في ظل تربية متوازنة .

ونرى أن المنهج الذي أعطاه القرآن مساحة واسعة منه ربما تزيد على ثلاثمائة آية، مسانداً بالأحاديث الصحيحة، وخلاصته أن المنهج الصحيح في الحكم على القضايا أو الأشخاص يجب أن يتوفر له شرطان :

أ - العلم وذلك بسعي الإنسان الجاد للوصول إلى الحقيقة بالوسائل الصحيحة وليس منها الظن أو الإشاعة أو مجرد شيوع الفكرة عند الناس، أو الانطباع الشخصي، أو التسليم المطلق للشعارات

ب - الموضوعية وعدم التحيز، ويعبر عنه القرآن بالعدل .

نرى أن هذا المنهج والعناية به وإشاعته بين الناس وتربية النشء عليه كفيل بالوقاية والعلاج لكثير من حالات التشدد، ونرى أنه ربما لا يخلق التشدد والتطرف شيئاً مثل التشدد والتطرف المضاد. إنَّ هذه المعادلة تكوِّن الحلقة الخبيثة التي يجب على المصلحين كفاحها ومقاومتها.

إنَّ مساجدنا وملتقياتنا مفتوحة للجميع، فلا نضمن أن لا يكون بين من يحضرون متشدد أو متطرف، ولكننا نعرف أن من طبيعة المتشدد أو المتطرف أنه لا يجد راحته العقلية والعاطفية إلا في بيئة تستجيب لأفكاره..

ولما كانت البيئة التي نحاول إيجادها في مواقع عملنا هي بيئة الاعتدال والوسطية والدعوة إلى التوازن، فإننا لا نظن أنها ستكون

بيئة مشجعة على الحضور لمن يحمل أفكاراً متطرفة، ولو حضر عرضاً فلن يتشجَّع على تكرار الحضور إلا إذا كان لديه استعداد لتغيير أفكاره .

إننا نحرص بقدر الإمكان على أن يتصف من نتيح له الفرصة للقيام بمهمة التربية والتعليم في مواقعنا أن يكون من المعروفين بالاعتدال في الفكر، والتوازن في الطرح .

على أنه لا يغيب عن فكرنا أنه كما ذكرنا سابقاً مثل هذه القضايا لا يمكن أن تبرأ كلية من النسبية وشخصية النظر والحكم.

إننا على يقين من أن وظيفة الشيطان الأساسية هي إيقاع العداوة والبغضاء، قال الله تعالى ﴿ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَن يُوقِعَ بَيْنَكُمُ ٱلْعَدَٰوَةَ وَٱلْبَغْضَآءَ ﴾ (٩١ سورة المائدة) .

ونعرف أن واجبنا أن نكافح الشيطان بما أمرت به الآية الكريمة: ﴿ وَقُل لِّعِبَادِى يَقُولُوا۟ ٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ۚ إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ يَنزَغُ بَيْنَهُمْ ۚ إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ كَانَ لِلْإِنسَٰنِ عَدُوًّا مُّبِينًا ﴾ (٥٣ سورة الإسراء)، ﴿ وَقُولُوا۟ لِلنَّاسِ حُسْنًا ﴾ (٨٣ سورة البقرة) .

وتعني الآية بالقول الحسن المعاملة بالطريقة الأحسن قولاً وفعلاً، ونعتقد أنه كما أن التطرف يخلق التطرف، فكذلك التسامح يخلق التسامح، ففي القرآن: ﴿ ٱدْفَعْ بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ﴾ (٣٤: سورة فصلت).

نرى أن الجدل العقيم والشقاق والخصام ثمرته مرة، ولذا نحرص على أن لا نشغل عن النشاط الإيجابي بنشاط سلبي، وقد

كسبنا من هذه السياسة ولم نخسر، فخلال عملنا كله لم نحتج ولم نرغب في الدخول في خصام مع فرد أو مؤسسة مهما كان اختلافنا معه أو معها في الفكر أو الاتجاه.

ولهذا كسبنا ـ كما نعتقد ـ صداقة الآخرين، أو على الأقل لم نتعرض لعداوة أحد .

تمت





تعريف المكتب التعاوني للدعوة والإرشاد وتوعية الجاليات بالمدينة المنورة

المكتب التعاوني للدعوة والإرشاد وتوعية الجاليات بالمدينة المنورة: هو مؤسسة دعوية تهتم بالدعوة إلى الله وتوعية الجاليات في المدينة المنورة، تعمل تحت إشراف وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد تم إنشاؤه في عام ١٤٢٨هـ بموجب التصريح الصادر من وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد رقم (١٦ / ٣٠١).

ويشرف على أعمال المكتب مجلس إداري برئاسة فضيلة الشيخ د. عبدالمحسن بن محمد القاسم إمام وخطيب المسجد النبوي الشريف، ويضم عدداً من أهل العلم والفضل وتدار أنشطته من خلال أقسام متخصصة ضمن جهاز إداري متكامل.

أقسام المكتب الدعوية

قسم التوعية العامة: ويهتم بإقامة البرامج الدعوية للمجتمع والقرى المجاورة ويعمل على تأهيل الدعاة وإقامة البرامج العلمية لطلبة العلم، وذلك من خلال: المحاضرات، الدروس العلمية، الدورات العلمية، الكلمات الوعظية، المعارض الدعوية وغيرها.

قسم توعية الشباب: ويهتم بتوعية الشباب في حلقات تحفيظ القرآن ومراحل التعليم وفي أماكن تجمعاتهم عبر وسائل متعددة، وذلك من

خلال برامج متعدد مثل: بناء الأجيال، أحببناك فأهديناك، جوال السعادة.

قسم توعية الجاليات: ويعمل على دعوة غير المسلمين ورعاية المسلم الجديد وتوعية الجاليات المسلمة في الشركات والسجون وغيرها، وذلك من خلال: البرامج التوعوية والتعليمة والملتقيات الدعوية والترجمة والجولات الدعوية وتوزيع المطبوعات.

قسم توعية الزوار: ويقوم على توعية زوار مسجد رسول الله ﷺ من الحجاج والمعتمرين بلغات مختلفة، كما يقوم بتسيير رحلات مجانية لهم لأبرز معالم المدينة المنورة الشرعية وبيان أحداث السيرة المرتبطة بها، كما يقوم بإكرام الوجهاء والأعيان من الزوار .

ويهدف القسم إلى تبصير الحجاج والمعتمرين بمناسك الحج والعمرة وتعميق صلتهم بالله، كما يهدف إلى إجلال العلماء والدعاة وإكرام الوجهاء أثناء تأديتهم لمناسك الحج والعمرة والعناية بهم وتوطيد العلاقة معهم وتحفيزهم على الدعوة إلى الإسلام في بلدانهم.

القسم النسوي: ويهتم بتوعية الفتيات في مراحل التعليم العامة، وفي النوادي والمشاغل وغيرها، كما يقوم بإقامة الملتقيات النسائية، وإعداد الداعيات، ويقدم عدداً من البرامج من أبرزها: رحلة النور (لغير المسلمات)، الداعية الصغيرة، نواعم باسقات، معرض على خطاك حتى نلقاك.